تأويل الظواهر التى غلط فيها اليهود والنصارى
الآب والابن ، والإله والصلب

(أو : المختار من مخطوطة)

البيان الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود
المشهورة بعنوان : العشر المسائل
المسألة الثالثة

تأليف

الشيخ أبى البقاء - صالح بن الحسين الجعفرى - المصرى

من علماء القرن السابع الهجرى

تحقيق

د/ صديق عبد العظيم أبو الحسن

قسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة

جامعة الكويت

تقديـم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

أنزل الله عـز وجل القـرآن / ﴿ ... هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُـدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾

(١٨٥ البقرة)

وأنزل كذلك سابقيه التوراة والإنجيل لنفس الغاية ، وهدد من يعرض عن الهدى أو يخفيه أو يحرفه .

قال تعالى :﴿ الٓمٓ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّـومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ .

(آل عمران ١– ٤)

وقد تعهد الله بحفظ الذكر – القرآن والسنة – فتيسرت لهما سبل الحفظ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

(٩الحجر) ، الذكر = القرآن .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

(٤٤ النحـل) ، (والذكر = القرآن والسنة) .

– وأنزل التوراة والإنجيل ، فكان مصيرهما ما يعرفه الباحثون فى علم تاريخ ومقابلة الأديان ، فضلاً عما أخبر به القرآن والسنة ، وفصله مصنفو كتب الملل والنحل .

– ومنذ القديم وكثير من الناس من مختلف الأجناس وأتباع الملل، واختلاف اللغات : مولعون بالبحث فى مايطلق عليه (علم مقارنة أو مقابلة – الأديان) ومن هؤلاء الشيخ أبو البقاء – صالح بن الحسين – الجعفرى ،

المصرى ، من علماء القرن السابع الهجرى ، فمن مؤلفاته كتاب كبير عنون له : (التخجيل لمن حرف التوراة والإنجيل). على غرار كتاب شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية : تخجيل من حرف التوراة وبدل الإنجيل .

اهتم الشيخ أبو البقاء بهذا العلم ، فهو مصرى ، وفى مصر منذ القدم – تسامح دينى ، وحرية عقيدة وتدين ، والمصريون من مختلف الملل والمذاهب يتعايشون فى مودة وتعاون ومساواة ، لا يفرق بينهم اختلاف فى الدين ولا المذهب ولا غير ذلك من صور التمايز من نسب ولون وغيره .

وإذا كان الشيخ أبو البقاء قد كتب كتابه الأول (المذكور آنفا) واختصره فى مخطوطته هذه التى نحققها ونقدمها الآن فمن منطلق الحب لإخواننا النصارى – شركاءنا فى تاريخ مصر وأرضها، لعلنا نقدم لهم سراجا يكشف لهم الحق ، فيهتدى به من يريد .

– وكتاب الشيخ أبى البقاء – اقتبس هو منه هذه المخطوطة التى أطلق على بعض صورها « البيان الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » ، وأطلق على نسخ أخرى لها « العشر المسائل فى فضائح اليهود » .

ولما كان معظم المخطوطة موجها للنصارى ، وكتبها هو أصلا استجابة لشيخه ولرغبة الملك محمد الكامل بن الملك العادل » للرد على أسئلة ملك الفرنجة (الانيرور) التى وجهها للملك الكامل سنة ٦٢٨ هـ. لذلك اخترت التعامل مع العنوان الأول : « البيان الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » وإن كنت أرى أن العنوان الأنسب لما تضمنته المخطوطة والتحقيق : عنوان « البيان الواضح المشهود فى الرد على النصارى واليهود » باستعمال عبارة « الرد على » بدلا من « فى فضائح » .

– وقد التزمت فى التحقيق ما التزمه الشيخ صالح فى الرد وتعزيز أقواله بما ورد من أقوال ونصوص تضمنتها كتب أهل الكتاب ، غير أنى استعنت أحيانا ببعض معاجم اللغة العربية ، وأحيانا بقاموس الكتاب

المقدس ، وبفهرسه واستشهدت ببعض الآيات القرآنية لأفكار كتبتها تمهيداً أو بياناً ، فى مسألة واحدة فى هذا العمل كله .

- وعمدت إلى نص المخطوطة فجعلته متنا ، وللتحقيقات فجعلتها هامشا .

- وشواهد الشيخ أبى البقاء من نسخة أو ترجمة للكتاب المقدس معاصرة له ، وفيها كثير من الاختلاف فى اللفظ ، والصياغة، وأحيانا فى المعنى أيضا عن النسخ المتوفرة لنا الآن .

- ولذلك فقد عمدت إلى نقل النصوص التى استعملها الشيخ صالح من نسخ الكتاب المقدس المعاصرة له ، فنقلت رديفها من الترجمة المعاصرة لنا فى الهامش .

- وأحيانا أجد نفسى راغبا فى تقديم سياق متكامل فى الفكرة التى يناقشها المؤلف فلا أقتصر على لفظ النص الذى أورده، بل أنقل مقتطفات موجزة يتكامل بها الموضوع الذى تضمن كلمة الشاهد الذى أورده أبو البقاء .

وفى المسألة الخامسة: فى أن المسيح قصد بالأذى وطلب ، وما قتل وما صلب .

- نجد خطة الشيخ أبو البقاء تعتمد فى مناقشة القوم على تحليل النصوص ، وإبراز دلالتها ، والرد على دعواهم ، وتصحيح مفاهيمهم وعقائدهم .

الأول : السير على خطى الشيخ مع بعض النصوص التى أرى أنها فى حاجة إلى مزيد من التحليل والإبراز ، أو التى لم يلتفت إليها .

الثانى : سأعمد إلى إظهار ما بين الأناجيل فى مسألة الصلب خاصة من اختلاف فأعرض نصوص الأناجيل فى كل موقف على حدة مقارنا لإظهار هذه الاختلافات .

فلقد تواضع العلماء والباحثون على أن النصوص إن تعارضت تساقطت وفقدت الثقة بها ، ويبرز هذه القاعدة أيضا تعقيبات مفسرى الأناجيل الأربعة ، فى تعقيباتهم على نصوص كل موقف من مواقف مسألة الصلب على عادتهم فى شرح نصوص الأناجيل كلها .

– ونجد رسم بعض الكلمات فى المخطوطة قد كتبها الشيخ أبو البقاء كما كان شائعا فى عصره ، وهى تنقص بعض الحروف عن مألوفنا فى الكتابة الآن ، وكذلك تنقص حركات الإعراب ، وقد وضحت ذلك سابقا فى مقدمة تحقيق المسألتين الأولى والثانية اللتين عنونت لهما بعنوان : « المسيح» عبوديته وبنوته » فيمكن الرجوع إليها ، وللتنويه بها أقول : إنى كتبت نصوص المخطوطة فى المتن وفق مألوفنا فى الكتابة (قواعد الإملاء) الآن ، ونبهت على الاختلاف فى الهامش بين المألوف الآن وما كتبه أبو البقاء .

والله أسأل أن أكون قد وفقت لإخراج مخطوطة الشيخ أبى البقاء ، وإلى تحقيق غرضه من كتابتها ، وغرضى من تحقيقها .

وأحب أن أنبه إلى أن كتاب أبى البقاء الكبير : قد أغرم به ، واهتم به الكثيرون من العلماء فى عصره وبعده .

وتناوله عدد غير قليل بالشرح والتعليق ، وتناوله أيضا عدد بالتلخيص والشرح ومن هؤلاء الشيخ أبى الفضل المالكى المسعودى فى مخطوطة ، وعنون لها بعنوان « المنتخب من البيان الواضح المشهود » وقد فرغت تقريبا من تحقيقها هي أيضا ، فإن كنت قد وفقت فمن الله ، وإن كان من قصور ، فهذا من النقص البشرى ، ونسأل الله أن يتم علينا نعمة الإيمان والإسلام ونسأله سبحانه علما واسعا نافعا ، وعملا صالحا متقبلا ، وحسن ختام .

والله ولى التوفيق

تمهيد

فيما يلى ذكر لبعض إطلاقات كلمة (الرب) ، (رب) فى أسفار العهدين : القديم والجديد شعرت بأهمية ذكرها تمهيدا لتحقيق هذا الفصل من مخطوطة الشيخ أبى البقاء

١- تطلق كلمة (الرب) معرفة بأل ، أو (رب) مضافة - على الله تعالى .

أ- إطلاق (الرب) على الله فى العهد القديم .

- فى صموئيل الأول : « فقامت حنة ... * وعالى الكاهن جالس على الكرسى عند قائمة هيكل الرب ، وهى مرة النفس فصلت إلى الرب .... » (١ صم ٩/١ ، ١٠)

- ومعظم جمل هذا السفر تتضمن كلمة الرب بهذا الإطلاق .

ب- ومن إطلاقها هذا الإطلاق فى العهد الجديد .

- فى انجيل لوقا . عن زكريا عليه السلام ، وزوجه الياصابات خالة مريم أم المسيح عليه السلام ، زمن أن كان يكفل مريم يقول لوقا :-

« وكانا (يعنى : يحيى والياصابات) كلاهما بارين أمام الله ، سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم * .

« يدخل إلى هيكل الرب ويبخر .. » ، « فظهر له ملاك الرب واقفا .. »

« لأنه يكون عظيما أمام الرب ... » ، « ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم » (لوقا ٦/١ . ١١ ، ١٥ ، ١٦)

* وقد وردت كلمة (رب) كثيرا فى العهدين القديم والجديد بهذا الإطلاق على الله تعالى .

أ- ففى العهد القديم - فى صموئيل أيضا - فى نص تال للنص السابق مباشرة :-

« ونذرت نذرا وقالت : يارب الجنود ، إن نظرت إلى مذلة أمتك وذكرتني ، ولم تنس أمتك ، بل أعطيت أمتك زرع بشر ، فإني أعطيه للرب كل أيام حياته ، ولا يعلو رأسه موسى* (١صم ١/١١، ١٢)

ويرجع مثلا كذلك كلمة (الرب) بالعهد القديم في :

(١ صم ١٢ / ٦ « الرب الذى أقام موسى ») ، (مز ١٤/١١ « الرب في هيكل قدسه »)

(مز ٤٧ / ٥ « صعد الله بهتاف الرب .. ») ، (مز ٤/٤٥ « الرب بين عاضدى نفسى »)

(١ ش ١٣ / ٥ « الرب وأدوات طخطه .. ») ، (ناحوم ١/١ « الرب إله غيور .. »)

* كما يراجع فى العهد القديم أيضا من إطلاقات كلمة (رب) (تث ١٠ / ١٧ « إله الآلهة ورب الأرباب ... ») ، (مز ٣/١٣٦ « احمدوا رب الأرباب ») .

* ونفس العبارة تقريبا من أمثلتها فى العهد الجديد . يراجع (اتى ٦ / ١٥ « ... ملك الملوك ورب الأرباب ») ، (رويا يوحنا ١٧ / ١٤ ، ١٩٩ / ١٦)

٢- وتطلق (الرب) على المسيح فى بعض أسفار العهد **الجديدمثل** :

أ- يوم الرب : فى رؤيا يوحنا : « كنت فى الروح فى يوم الرب ... » (رؤيا ١ / ١٠)

يوم الرب : فى رسالة بطرس الثانية « .... يوم الرب الذى تزول فيه السموات .... » (٢ بطرس)

جـ- عشاء الرب : فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كونثوس :

« فحين تجتمعون معا ، ليس هو لأكل عشاء الرب ... »

(١ كو ١١ / ٠)

٣- تطلق الرب - مشتركة - على اسم الجلالة سياقا ، وعلى المسيح تأويلا .

أ- فى سفر أعمال الرسل : يقول عن بطرس : « ففتح بطرس فاه وقال : بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه * بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده * الكلمة التى أرسلها إلى بنى إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح ، هذا هو رب الكل »

(أعمال الرسل ١٠ / ٣٤ - ٣٦)

ب- وفى رسالة بولس الأولى إلى كونثوس :

« إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله ، فلست أريدكم أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين * لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين * لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة شياطين * أم نغير الرب لعلنا أقوى منه » .

(١ كو ١٠ / ٢ - ٢٢)

* فالنص هنا صريح فى أن الرب هنا مقصود به الله جل وعلا بدلالة العبارة الأولى فيه « فإنما يذبحون للشياطين لا لله » .

- ولكن النصارى يعتبرون أن الرب هنا مراد بها المسيح عيسى عليه السلام .

* وكذلك أيضا ما مر فى المثال (أ) عن بطرس فى أعمال الرسل .

٤- وتطلق (رب) على كل ذى شأن - مضافة إلى شأنه .

ففى العهد القديم ، فى صمويل الثانى . عن ملكة عمون حين انتصر عليها يو آب قائد جيش داود عليه السلام .

« وحارب يوآب : ربة بنى عمون ، وأخذ مدينة المملكة * وأرسل يوآب رسلا إلى داود يقول : قد حاربت وأخذت أيضا مدينة المياه »

(٢ صم ٢٦/١٢ ، ٢٧)

* وهذا الإطلاق شائع وكثير فى العهد القديم .

- وكذلك كثير فى العهد الجديد - ففى إنجيل متى : يطلق المسيح كلمة (رب) على صاحب حقل قمح يطلب الحصاد .

« ... قال لتلاميذه : الحصاد كثير ، ولكن الفعلة قليلون * اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » .

(متى ٩/٣٧ ، ٣٨)

* تعقيب : سياق الكلام ينبىء أن « رب الحصاد » مراد بها (الله) تعالى .

وظاهر النص وأسلوبه ، يدل على أن (رب الحصاد) هو صاحب حقل القمح أو المسئول عنه .

المسألة الثالثة: في تأويل(١) الظواهر (٢) التي غلط بها الكافر (٣) .

(١) (تأويل) تفسير ما يؤول إليه الشيء ، وقد (أوله) تأويلا ، و (تأوله) بمعنى
(مختار الصحاح : أول)

- (التأويل) جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ لا إشكال فيه (تفسير القرطبي ٥/٢٦٣)

- (التأويل) يطلق على ثلاثة إطلاقات :

الأول : حقيقة الأمر الذي يؤول إليه الشيء .

الثاني : يراد به التفسير والبيان . ومنه قول الرسول - ﷺ - في ابن عباس " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل " .

وقول ابن جرير وغيره من العلماء : القول في تأويل قوله تعالى : كذا وكذا ، أي : تفسيره وبيانه ...

الثالث : هو معناه المتعارف عليه في اصطلاح الأصوليين ، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك

(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - للشنقيطي ٣٢٩ / ١)

- ويقصد الشيخ أبو البقاء أن كثيراً من الألفاظ والأسماء إذا استعمل أي منها على ظاهر معناه ودلالته لا يؤدي المقصود ، بل ربما آل الأمر إلى فساد وضلال ، حيث يعمد بعض الناس لاستعمال لفظ على معنى أو على اصطلاح غير ما وضع له ، وتكون الدلالة في هذه الحالة فاسدة، فتؤدي إلى فساد كبير ، وأخطر ما تؤدي إليه هذه الألفاظ من فساد إذا استعملت في مجال العقيدة كما حدث من بعض قساوسة ودعاة النصرانية بعد رفع المسيح عيسى عليه السلام .

ولذا يقول المؤلف يرحمه الله إنه يجب صرف هذه الألفاظ عن ظاهرها التي استعملها النصارى عليه، إلى المعاني التي دلت عليها واستعملت فيها من خلال نصوص الإنجيل وغيره من الأسفار.

(٢) الظواهر : جمع ، والظاهر المقصود في كلام المؤلف : دلالة ظاهر الاسم بصفة خاصة ، ودلالة ظاهر اللفظ بصفة عامة .

والألفاظ التي يقصدها المؤلف (الأب، والابن، الإله، والرب منها ما استعمل في الأسفار للدلالة على حقيقة المعنى الموضوع له، ومنها ما استعمل مؤولا ولكن بعض كتب الأناجيل والرسائل والمجامع المسكونية وغيرهم جمدوا بعض المؤول على المعنى الظاهر ، وأولوا ظاهر الدلالة مع أن المقصود هو المعنى الظاهر المتبادر فاختلت المعاني ، وحرفت العقيدة ، وشوهت الديانة.

(٣) الكافر : يقصد به من حجر الحق ، وصرف الظاهر إلى التأويل ، وجعل ما حقه التأويل مقصودا به المعنى المتبادر ، وكل من اتبع هذا الضلال على علم، أو لم يكلف نفسه البحث عن الحق مع شيوعه وتوفر وسائل الوصول إليه .

وأكثر ما أفسد فكر وعقيدة النصارى استعمال دلالة الأسماء على معنى واحد من معانيها لا يحتمله السياق ولا المقام .

والشيخ أبو البقاء يهدف إلى تصحيح مفاهيم النصارى ، وتنقية عقيدتهم مما شابها وذلك بتأويل ما حقه التأويل ، والاستدلال على مايبديه من رأي بأدلة من نصوص أقوال النصارى وكتّاب الأناجيل وغيره من أسفار اليهود .

اعلم أن الألفاظ التى غلطت النصارى أربعة : الآب ، والابن ، الإله ، الرب وإذا نحن أتينا عليها بالتأويل وبينا ما تحمله بالدليل من التوراة والإنجيل لم يبق إلى اجرائها على الظاهر من سبيل بعد أن تقدر صحتها (١) مثلا نسلمها جدلا ، ولو نسبنـاهم إلى التحريف (٢) والتصحيف .

---

(١) قوله : " بعد أن تقدر صحتها " يريد أنه سيفترض أن ما ورد من النصوص التى تضمنت هذه الكلمات صحيح، وسيقيم الأدلة على أن المقصود منها ليس المعنى الظاهر المتبادر، وإنما المعنى المؤول .

(٢) أما إذا صارح النصارى بأن السابقين منهم حرفوا هذه الكتب والرسائل ، فإن ذلك يصدم مشاعرهم ، ويدفعهم للمكابرة ، والاعتزاز بتراث الآباء ، فقد اعتاد الناس على التمسك بما اعتادوه ، والثقة بما تلقوه عن الآباء والأجداد .

وينشأ ناشىء الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

والتنزيل العزيز يصور هذه الحالة بما حكاه من إلف المشركين على مر السنين .

* - فقريش على الرغم من أنهم كانوا يصدقون محمداً - ﷺ - ولا يكذبونه ،

يقول الله تعالى تسلية للرسول : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣ الأنعام)

فهم يجحدون ما أنزل عليه ، ويرفضون اتباعه بسبب إلفهم لما هم عليه مما ورثوه عن آبائهم من عقائد ، ومما سجله الله عليهم فى ذلك .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ (؟) ﴾ (١٧٠ البقرة)

ومثل هذا المعنى عديد، فتراجع الآيات (٢٢ الزخرف) ، (١٠٤ المائدة) ، (٢١ لقمان) .

- بل إنهم كانوا يلتزمون ما كان عليه الآباء من العادات والمعاصي حتى الفواحش .

قال تعالى عنهم : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨ الأعراف)

وعلى نفس هذه الوتيرة كانت سلوكيات الأمم السابقة مع أنبياء الله ، وكان موقفهم من العقيدة الصحيحة والمنهج القويم الذي بعثوا به .

أ- فعاد قوم هود عليه السلام كان ردهم علي دعوته لهم : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٧٠ الأعراف)

ب- وثمود قوم صالح عليه السلام كان ردهم كذلك : ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٦٢ هود)

جـ- وأهل بابل قوم إبراهيم عليه السلام ، سلكوا نفس المسلك : ﴿ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ (٥٢ ، ٥٣ الأنبياء) .

د- وأهل مدين كذلك كان ردهم على شعيب عليه السلام : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (٨٧ هود)

لأغريناهم (١) بعنادهم ، وحسمنا (٢) عنهم مادة إرشادهم ، فأما الخوض فى أدلة العقول فشىء لايحتمله تواهم (٣) ، وأمر لا يلائم هواهم .

– ويتضح من سياق مناقشات الأنبياء مع أقوامهم . أن كل نبى كان موضع الإحترام والثقة والتصديق من قومه ، ولكنهم كانوا ينكرون عليه أنه يدعوهم إلى الإيمان بوحدانية الله ، وإلى إفراده بالعبادة وترك ما كانوا عليه من شرك ، وما ألفوه من عادات وأخلاق إلى ما بينه لهم مما شرع الله .

– كما بين الأنبياء لأقوامهم تعقيباً على ردودهم بأن ما هو عليه من شرك وعادات خطأ وعاقبته وخيمة، وأن العاقل هو من يترك الخطأ والضلال، ويتبع الحق والصواب، فهو وحده سبيل النجاح فى الحياة الدنيا، وسبيل الفلاح والفوز بالجنة والنجاة من العذاب فى الآخرة، والآخرة خير وأبقى، وما الحياة الدنيا إلا متاع غرور قصير، تراجع : سير الأنبياء فى القرآن، والكتب التى تناولتها .

– والشيخ صالح بن الحسين يرحمه الله : اتبع فى إشارته هذا المنهج الإسلامى ، وراعى البعد النفسى التربوى مهتديا بهدى القرآن الكريم فيما وجه به النبي والدعاة من بعده .

فى قول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥ النحل)

– وفيما وجه به المسلمين عامة ، والدعاة خاصة .

فى قوله تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون * وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون ﴾ (٤٦ ، ٤٧ العنكبوت)

(١) (لاغريناهم) حرضناهم ودفعناهم إلى العناد حمية لموروثاتهم .

(٢) (حسمنا عنهم) الحسم : المنع والقطع . (القاموس – ومختار الصحاح : حسم) والمعنى : حسمنا : أى قطعنا عنهم ومنعناهم من النظر والتفكير فى الأدلة والبراهين النصية والعقلية التي ترشدهم إلى الحق والصواب .

(٣) (تواهم) : التواهم – تفاعل من الوهم ، والوهم هو الخطأ ، فأى شئ يدرك إما أن يكون إدراكه:
أ – حقيقة إذا كان مطابقاً للواقع ، ب – أوشكا ، وهو ما يتساوى طرفاه ،
جـ – أو ظنا، وهو ما يكون جانب الحقيقة فيه مرجوحاً .
والوهم ، وهو الخطأ البين .

– ووهم وتوهم بمعنى ، والوهم والتوهم والتواهم بمعنى . وهو رديف الخطأ فى كلام العرب ، مستفاد ويتصرف من : (القاموس ، والمنجد ، وأساس البلاغة، ومختار الصحاح) .

فعقائد هؤلاء الناس مبنية على الوهم ، والأفكار الدخلية التى بثها عدد من الكتاب فى عصور متقدمة، سواء فى فترة الاستخفاء ما بين رفع المسيح إلى (مؤتمر) المجمع المسكونى الأول – مجمع نيقية أو بعده مما ابتدعه أصحاب المذاهب المختلفة ، ومما أقربه المجامع المسكونية ، وما حرمته
– ويمكن مراجعة تاريخهم ومذاهبهم ، ومجامعهم علماً بأن مراجعتها كثيرة ومتوفرة ، والدراسات

* أما لفظ (١) الابن والأب (٢) : فلغتهم تسمى الولى ابناً (٣)، والمربى

التى أجراها الباحثون من مختلف الأجناس والأديان واللغات، وعلى مر العصور ، عديدة تكاد لا تحصى ،ومتيسرة فى كل مكان ، ومترجمة إلى مختلف اللغات .

- والأدلة العقلية لا تدع مجالا للوهم والتواهم .

أما إذا كان للناس هوى ، أو تشبثاً بالمواريث ، فحينئذ لا تتفتح عقولهم للأدلة العقلية لأنها لا تلائم هواهم ، ولا ترضى أذواقهم التى تشربت ما تشربته أذواق آبائهم ..

(١) الابن والأب ، من الألفاظ المشتركة فى اللغات السامية : الأشورية والبابلية ، العبرانية والآرامية ، والعربية ، والمعانى فيها تكاد تكون واحدة فى الأصل ، إلا ما أطلق على غير أصله المتبادر المعهود الموضوع له في بعضها ، وفيما يلى ذكر إطلاقات كل منهما فى كتبهم .

أولاً : الابن في العهد القديم :

- « الابن » توسع العبرانيون والعرب فى إطلاقاته ، فبالنسبة للغة العربية يمكن الرجوع لقواميسها وليس هدف المؤلف ولا المحقق الاستشهاد بها ، وإنما الهدف الاستدلال لأهل الكتاب من مصادرهم هم ، بإيراد إطلاق هذه الألفاظ الموهمة المذكورة فى أسفارهم ومعاجمهم .

أ- فيطلق « الابن » على الولد ، مثال : فحبلت بلهة ، وولدت ليعقوب ابنا » (تكوين ٣٠/٥)

ب- ويطلق « الابن » على ولد الجارية : فقالت - راحيل لزوجها يعقوب - هوذا جاريتى بلهة ، أدخل عليها ، فتلد على ركبتى ، وأرزق أنا منها بنين * ... * فقالت راحيل : قد قضى الله لى ، .... وأعطانى ابنا » (تكوين ٣٠/١-٦)

جـ- ويطلق على الحفيد ، فحين سافر يعقوب عليه السلام إلى خاله لابان بن بتوئيل وحفيد ناحور أخى إبراهيم عليه السلام ، وكان يسكن حاران فى فدان آرام (تك ٢٨ / ٢،١)

فعندما وصل قريبا من حران وجد رعاة يسقون من بئر : « فقال لهم يعقوب يا إخوتى من أين أنتم ؟ فقالوا من حاران * فقال لهم : هل تعرفون لابان ابن ناحور ؟ فقالوا نعرفه » (تك ٢٩/٤،٥)

فيعقوب عليه السلام قال عن لابان (ابن ناحور) ، فى حين أن لابان حفيد ناحور كما اتضح سابقاً .

- وإطلاقات أخرى عديدة في أسفار العهد القديم .

ثانياً : وفى العهد الجديد أيضاً إطلاقات عديدة لكلمة ابن ، منها :

أ - تطلق علي القرابة البعيدة مثل ما أجاب به الفريسيون المسيح ، ففى متى :

« وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون فى المسيح . ابن من هو ؟ قالوا له ابن داود » (متى ٢٢/٤٢،٤)

فى حين داود حسب النسب الوارد فى إنجيل متى هو الجد السادس والعشرين للمسيح وفى النسب الذى أورده لوقا يعتبر داود الجد الحادى والأربعين .

(يراجع متى ١/١-١٦) ، ولوقا (٣/٢٣-٣١)

ب - لما يطلق على صفة أو خاصية - كابن السلام ، ومثال ذلك ما ورد على لسان المسيح لتلاميذه :

« وأى بيت دخلتموه فقولوا أولا : سلام لهذا البيت * فإن كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه وإلا فيرجع إليكم » (لوقا ١٠/٥،٦)

وأمثال ذلك من تصريفات الكلمة كثير فى أسفارهم .

أبناءالله.

وإذا كان كتاب بعض الأناجيل والرسائل ، والمذاهب النصرانية قد رسخوا مفهوم : أن المسيح ابن الله ، فإن عبارات : ابن الله ، وأبناء الله ، وبنات الله ، قد وردت فى أسفار العهد القديم وأسفارالعهد الجديد مشيرة إلى أشخاص عديدين غيرالمسيح عليه السلام أفراد وجماعات ، وأطلقت عليهم بإطلاقات متعددة .

وعلى منهج الشيخ صالح سنورد منها مقتبسات من أسفارهم ، وكتابات متقدميهم فقط ، مبينا المعنى الذي أطلقوا اللفظ عليه .

وقد عاب القرآن على اليهود ادعاءهم آن عُزَيْراً ابن الله ، وأنهم أبناء الله ، وعاب على النصارى ادعاءهم أن المسيح ابن الله .

وهذه العبارة تتردد كثيراً فى العهدين القديم والجديد ، ومنهما ما يلى : -

أ - تطلق « أبناء الله » على الصالحين الأبرار « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولدت لهم بنات * أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا * » (٦/٢)

يقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس : ظن البعض أنه يراد بلفظة « أبناء الله » هنا ، إما ملائكة أو أرواح ظاهرة ،. ولكن يرجح أنه يقصد به الأبرار . (قاموس ١٩٢ ع ١)

ب - واعتبرها مؤلفو قاموس الكتاب المقدس لقبا فى عدة مواضع ، منها .

فى سفر أيوب : « وكان ذات يوم أن جاء - بنو الله - ليمثلوا أمام الله ... » (أيو ١/٢،٦/١)

- وفى المزامير : « قدموا للرب يا أبناء الله ، قدموا للرب مجداً وعزا * قدموا للرب مجد اسمه * اسجدوا للرب فى زينة مقدسة » (مزمور ٢٩/١-٢،١)

جـ - وقد دعى آدم ابن الله ، ففى نهاية نسب المسيح : « .... * بن شيث بن آدم بن الله (لوقا ٣٨/٣)

د - وقد دعي شعيب إسرائيل ابن الله وأبناء الله » : « وقال الرب لموسى : ... * فتقول لفرعون : هكذا يقول الرب . إسرائيل ابنى البكر ... » (قاموس الكتاب المقدس ١٠٩ / ع ١)

هـ - وكذلك دعى المصريون أبناء فرعون : « فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى فأبيت تطلقه ، ها أناذا أقتل ابنك البكر » (خروج ٢١/٤ - ٢٣)

- وفى التثنية : « فرأى الرب ، وأرذل بعين الغيظ بنيه وبناته » (تثنية ١٩/٣٢)

- وفي أشعيا : « والآن يقول الرب خالقك يا يعقوب ، وجابلك يا إسرائيل .. * لا تخف فإنى معك من المشرق آتى بنسلك ، ومن المغرب أجمعك * أقول للشمال أعط ، وللجنوب لا تمنع . إئت ببنى من بعيد وببناتى من أقصى الأرض * بكل من دعى باسمى ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته »

(أشعيا ٤٣ / ١-٧)

- وفى هوشع « ولكن عوضا عن أن يقال لهم لستم شعبى يقال لهم : أبناء الله الحى »

(هوشع ١٠/١)

(٢)الأب، وكلمة أب « أيضا وردت بهذا اللفظ ومعانيه فى اللغات السامية مع بعض الزيادات أو بنقص فى الاشتقاق والمعنى .

- ويغلب على الظن أن الاسم (أب) فى الأصل العبرى اختصار من (أبية) أو (أبيا) التى معناها (الرب أب) أو (الرب أبى) . (قاموس الكتاب المقدس ٢٠/ع١)

أ - ويطلق (أب) على السلف المباشر للإنسان ، أى والده : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ، ويكونان جسداً واحداً » . (تكوين ٢/ ٤٢)

- وإخوة يوسف قالوا له : « عبيدك إثنا عشر أخا ، نحن بنو رجل واحد فى أرض كنعان »
(تكوين ٤٢/ ٩-١٣)

ب - ويطلق (أب) على الجد والأسلاف بوجه عام فخرج يعقوب من بئر سبع نحو حاران ... * وهو ذا الرب ... فقال : أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله اسحق ... » (تكوين ٢٨/ ١٣)

جـ - ويطلق (الأب والآباء) على الأصول الأولى : « ثم كلم موسى قائلا * ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بنى إسرائيل من أرضه * ... * هؤلاء رؤساء بيوت آبائهم .... »
(خروج ٦/ ١٠،١١،١٤)

د - كما دعى إبراهيم أبو المؤمنين : « فإذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد * ... ٢ ... ليكون أبا لجميع الذين يؤمنون ... » (رومية ٤/ ١١)

- كما دعى إبليس أبو الأشرار : « فقال يسوع لليهود ... ٢... لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم *...* فقالوا له إننا لم نولد من زنى ، لنا اب واحد وهو الله *...*... أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يوحنا ٨/ ٣١-٤٤)

هـ - وللدلالة على التقارب والتشابه : فما قال أيوب عليه السلام : « روحى تلفت ، أيامى انطفأت ، إنما القبور لى » إلى أن يقول : « وقلت للقبر أنت لى أبى .... » (أيوب ١٧/ ١،١٤)

و- وعلى مصدر الشئ - يقول الله تعالى لأيوب عليه السلام .من فرع قنوات للهطل ، وطريقا للصواعق * ليمطر على أرض حيث لا إنسان *...* هل للمطر أب » (أيوب ٣٨/ ٢٦،٢٨)

- ويقول بولس لأهل أفسس: « وأنتم إذا كنتم أمواتا بالذنوب والخطايا *...*... الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية » (أفسس ٢/ ١،٢)

ز - وعلى الرئيس المحترم المكرم : « فتقدم عبيده وكلموه وقالوا له يا أبانا : لو قال النبى أمرا عظيما أم كنت تعمله ... » (٢ ملوك ٥/ ١٢)

ح - وعلى الخالق جل وعلا : قال يعقوب فى رسالته : « كل عطية صالحة ، وكل موجبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران * شاء فولدنا بكلمة الحق فولدنا لكي نكون باكورة من خلائقه . (يعقوب ١/ ١٧، ١٨)

* و (آب) لفظ يطلقه المسيحيون على الله تعالى : « الآب السماوى ، ومن هذا الاطلاق :

- في متى : « في ذلك الوقت أجاب يسوع وقال : أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض ....»
(متى ١١/ ٢٥)

- وقال بولس : « بولس رسول . لا من الناس ، ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب ... »
(غلاطة ١/ ١)

أبا ، ويعنون بذلك أبوة النعمة [1] وبنوة الخدمة ؛ وذلك عندهم مشهور ، وفي نبوات أنبيائهم مسطور[2] ، وبيان ذلك بحجج **الحجة الأولى:** قال الله لموسى : اذهب إلى فرعون وقل له : يقول لك الرب إله إسرائيل ، ابنى بكرى أرسله يعبدنى ، فإن لم ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرك ، فلما لم يرسل فرعون

- ومن وصاية المسيح عليه السلام : « وصل لأبيك الذى فى الخفاء ، فأبوك الذى فى الخفاء يجازيك علانية *...* فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ... »
(متى ٦/٥-١٦)
- ويدعى الله أبو يسوع المسيح : يقول بولس : « أبو ربنا يسوع المسيح » (٢ كورنثوس ١١/٣١)
- وقد وردت كلمة أب بإطلاقات مختلفة فى (متى ٤٥ مرة) وفى (مرقس ٥ مرات)
(لوقا ١٧ مرة) ، (يوحنا ٩٠ مرة) وفى كل مرة من هذه كان القول على فم المسيح ما عدا أربع فقط .
- **وأبوة الله تسير فى اتجاهين:**
الاتجاه الأول: أبوته للبشر بالخلق ، **والثانى** أبوته للمؤمنين بالنعمة ....
- وفى هذه العلاقة الممتازة فى القرب من الأب يعتبر المؤمنون أبناء الله بمعنى خاص بهم دون غيرهم . (كلولوسى ١/١٣،١٤)
وهذه العلاقة (الأبوة) ليست بالطبيعة ، ولكنها بالنعمة.
بتصرف واختصار (قاموس الكتاب المقدس ١٨/ع ١، ٢)
أ - فمن بنوة المؤمنين لله امتيازا لهم يقول يوحنا : « انظروا أية نعمة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله ... ٢ من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه لا يعرفه * أيها الأحباب الآن نحن أولاد الله » .
(١ يوحنا ٣/١،٢)
ب - ومن أنها تنال بالنعمة (بالميلاد الثانى) يقول يوحنا أيضا : « وأما كل الذين قبلوه (أى آمنوا بالمسيح) فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون باسمه ... » (يوحنا ١/١٢)
- وفى رسالة بولس لأهل رومية : «لأن كل الذين ينقادون بروح الله هم أبناء الله»
(رومية ٨/١٥) ويراجع : (قاموس الكتاب المقدس ١٧، ١٨، ٢٠)
(٣) قوله : فلغتهم تسمى الولى ابنا : يشير إلى ذكر - فى سفر التكوين - عن إبراهيم حين علم أن بعض الملوك المجاورين أغاروا على لوط وأسروه : « فلما سمع إبرام أن أخاه سبى ، جر غلمانه المتمرنين ، وولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان » (تكوين ١٤/١٤)
فقوله : « وولدان بيته » هم مواليه وعبيده وخدمة ورعاة مواشيه
(١) يشير أبو البقاء إلى ماورد فى قاموس الكتاب المقدس من أن الأبوة تنال بالنعمة .
يراجع ما نقلناه عن يوحنا (يو ١/١٢ ، رومية ٨/١٤)
(٢) وردت هذه المعانى فى أسفار الأنبياء فى العهد القديم مثل (أشعيا ٤٣/ ١-٧) ، (هوشع ١/١٠) كما وردت في الأناجيل ، والرسائل .

بني إسرائيل من مصر قتل الله أبكار فرعون وقومه ، من بكر فرعون الجالس على السرير إلى بكر الأتونى الذى يسجر النار . وحتى الحيوان (١).

* قال المؤلف : فهذه لغتهم تسمى بنى إسرائيل أبناء الله ، وتسمى أهل مصر أبناء الفرعون . وتتوسع بتسمية سخال الحيوانات أبكارا وأبناء لهم ، فهل بقى للنصارى من ريب فى صرف النبوة عن ظاهرها وحملها على الولى والعبد المطيع لله تعالى ؟ .

ألم يسمعوا إلى قول الله : أرسله يعبدنى (٢) ؟ فإذا كان يعقوب يسمى ابنا ، وأولاده أبناء ، فأى مزية بقيت للمسيح على غيره ؟ فهلا عبدوا يعقوب وهو الابن البكر ، فقد تبين لكم رحمكم الله غلط النصارى فى لفظ البنوة .

الحجة الثانية: فى صرف البُنُّوَة عن ظاهرها قال الله لداود فى المزامير ، أنت ابنى ، سلنى أعطيك (٣).

قال المؤلف : العهدة عليهم فى هذا النقل .

---

(١) ذكرناه سابقا فى التعريف بالعبارة : أبناء الله رقم (د)
(يراجع المرجع " خروجه ٢١/٤ - ٢٣ ")

(٢) تكرر هذا المعنى فى أسفار العهد القديم ، ومنه :
أ - فى سفر التكوين : « وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه » - أى قبل قربان قابيل - (تك ٤/٤)
ب - وفى سفر الخروج يجمع بين أبكار الإنسان ، وإبكارما شيته :
« لا تؤخر ملء بيدرك ، وقطر معصرتك ، وأبكار نبيك تعطينى ، كذلك تفعل ببقرك وغنمك .. »
(خروج ٢٢/٢٩ ، ٣٠)
وقوله فى المزامير : « الذى ضرب أبكار مصر من الناس والبهائم » (مزمور ١٣٥/٨)
- والنص فى سفر الخروج : « هكذا يقول الرب . إسرائيل ابني البكر ، فقلت لك أطلق ابنى ليعدينى ... » (خروج ٤/٢٣،٢٤)

(٣) يراجع : (المزمور الثانى ٨)

فإن صدقوا فيه فقد نسج المسيح على منوال من تقدمه فى إطلاق هذه اللفظة على صلحاء عباد الله ، وحينئذ ، لم يبق للمسيح مزية على داود ويعقوب وغيرهما ممن وردت فى حقه هذه اللفظة .

الحجة الثالثة: قال المسيح فى خاتمة الإنجيل : أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم [١] ، فقد سوى المسيح بينه وبينهم فى هذه البنوة ، وهى لفظة لم ترد قط إلا ومعها ما يصرفها عن ظاهرها ، فتأمل ذلك .

الحجة الرابعة: قال فى السفر الخامس من التوراة وهو يعاتب بنى إسرائيل : أيها الجيل الخبيث الجاهل المعوج ، الغير حكيم ، أليس هذا هو أبوك ومالكك الذى خلقك وبارك عليك ، فكيف هجرت الله ؟ الذى ولدك ، ونسيت إلهك الذى مجدك [٢].

– وفى التوراة : فرأى الله ذلك فغضب على بنيه وبناته فقال : لأصرفن وجهى عنهم ، ولأبتلينهم بشعب جاهل ، لأن النار تشتعل من غضبى [٣].

---

(١) النص فى الاصحاح (٢٠) قبل الأخير فى إنجيل يوحنا ، وفيه أن مريم المجدلية جاءت إلى القبر فوجدته مفتوحا ولم تجد جسد المسيح فيه فسألت عنه الحراس فناداها المسيح وطلب منها ألا تلمسه ثم أمرها أن تذهب إلى التلاميذ وقال لها : « اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم : إني أصعد إلى أبى وأبيكم ، وإلهي وإلهكم » باختصار وتصرف (يوحنا ٢٠/١١-١٧)

– وبيعض هذه العبارات قال المسيح فى (يو ١٤/١٢ ، ٢٨ يو ١٦/١٠ ، ١٧)

(٢) السفر الخامس هو سفر التثنية – آخر الأسفار الخمسة التى ينسبونها إلى موسى عليه السلام ، ويسمونها تارة : أسفار موسى ، وتارة : أسفار التوراة.

– والنص فى الترجمة المعاصرة : « جيل أعوج ملتو * الرب تكافئون بهذا شبعا غبيا غير حكيم ، أليس هو أباك ومقتنيك * هو عملك وأنشأك » (تثنيه ٣٢/٥-٧)

(٣) وفى التوراة فى نفس التثنية – ونفس الإصحاح :

« أفسد – الذين ليسوا أولاد الله – ... فرفض الإله الذى عمله ، وغبى عن صخرة خلاصه * أغاروه بالأجانب ، وأغاظوه بالأرجاس * ذبحوا الأوثان ليست لله، لآلهة لم يعرفوها ... * الصخر الذى ولدك تركته ، ونسيت الله الذى أبدأك.

فرأى الرب وأزل من الغيظ بنيه وبناته * وقال : أحجب وجهى عنهم ، وأنظر ماذا تكون آخرتهم ، إنهم جيل متقلب لا أمانة فيهم * هو آغرونى بما ليس إلاها، أغاظونى بأباطيلهم ، فأنا أغيرهم بما ليس شعبا، بأمة غبية أغيظهم *

- وفيها أيضا : افرحى أيتها السماء ، وليسجد لله جميع أبنائه(1).

الحجة الخامسة: ذكرت التوراة (2) فى قصة الطوفان : أنه لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا جدا شغفوا بهن ، ونكحوا منهن على ما أحبوا ، فولدوا جبابرة مذكورين ، فقال الله تعالى : لا تحل عنايتى على هؤلاء القوم، وأرسل الطوفان فأهلكهم (3) .

قال المؤلف : أراد : أبناء الله أولاد هابيل الذى قتله قابيل ، فسماهم أبناءه تشريفا لهم ، وذلك الذى أراد المسيح بقوله : أنا ذاهب إلى أبى وأبيكم (4).

الحجة السادسة: روى النصارى واليهود عن نبى الله أشعيا ، عن الله : تواصوا فى بنى وبناتى ، يريد ذكور بنى إسرائيل وإناثهم (5) ، ورووا عن أشعيا أيضا عن الله : أنى ربيت أولادا حتى كبروا ونشأوا (6) .

إنه قد أشتعلت نار بغضبى فتتعقد إلى الهاوية السفلى ، وتاكل الأرض وغلتها .. أجمع عليهم شرورا، وأنفذ سهمى فيهم » (تثنية ٣٢/١٥-٢٣)

(1) النص فى نفس الإصحاح : « تهللوا أيها الأمم شعبه لأنه ينتقم بدم عبيده ، ويرد نعمة على أصداده ، ويصفح عن أرضه عن شعبه » (تثنيه ٣٢/٤٣)

(2) (التوراة) سفر التكوين .

(3) ذكرت قصة الطوفان فى سفر التكوين من أول الإصحاح السادس - وقد ذكر الشيخ هذه القصة باختصار واف لما ورد فى السفر فى الفقرات من ١-٧ ، وتتمة القصة تراجع حتى الفقرات ١-٩ من الإصحاح السابع . (تكوين ٦/١-٢٢ ، ٧/١-٩)

(4) وذكرت قصة هابيل فى الإصحاح الرابع من سفر التكوين . (٤/١- ١٠)

(5) النص النسخ المعاصرة - الترجمة الحالية للكتاب المقدس - باختصار (مقتطفات) .

« ... يقول الرب خالقك يا يعقوب، وجابلك يا إسرائيل .....*...* لا تخف فإنى معك * من المشرق آتى بنسلك ومن المغرب أجمعك *

أقول للشمال أعط ، وللجنوب تمنع ، إيت ببنى من بعيد ، وببناتى من أقصى الأرض * بكل من دعى باسمى ولمجدى خلقته وجبلته وصنعته» (أشعيا ٤٣/١ ، ٦،٧)

(6) والنص في أول السفر : « اسمعى أيتها السموات ، وأصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم ، ربيت بنين ونشأتهم ، أما هم فعصوا على ... » (أشعيا ١/٢)

- وكلمة «نشأوا» فى المخطوطة : نشوا

قال المؤلف : ماترى المسيح إلا مسببوبا [١] بهذه البنوة ، وغاية الأمر تسوية حاله وحال من تقدمهم من صلحاء عباد الله ، فإن لم يصح هذا النقل فلا بنوة [٢]، وإن كان صحيحا فلا مزية .

* والدليل على أن البنوة عندهم بمعنى التربية ، قول المسيح : أبى ربانى ، وقال مرة أخرى : أنا الكرم وأبى الفلاح [٣].

والله تعالى مربى[٤] عباده أجمعين ومفلحهم ، ومنمى أجسادهم ومغذيهم .

الحجة السابعة: أن إطلاق البنوة بمعنى التشريف لاغير ، ثم قال فى الفصل الثانى من رسالته الأولى : انظروا إلى محبة الله لنا ، أعطانا بدعا له أبناء ، ثم قال فى الفصل الثالث منها . أيها الأحباء . الآن صرنا أبناء الله ، وقد تبن بنا ، فينبغى لنا أن ننزله من الإجلال على ماهو عليه ، فمن صح له هذا الرجاء فليزك نفسه بترك الخطيئة والإثم ، واعلموا أنه من لامس الخطية فإنه لم يعرفه .

---

(١) «مسببوبا» (بالياء) موصولا : من السبب ، وهو ما يتوصل به إلى غيره .

- والعبارة فى المخطوطة «مسببوبا بهذه البنوة » فعلى هذه الصياغة «مسببوبا» من السبب ، وهو الصلة ، فيكون المقصود أن المسيح عليه السلام موصول بمن سبقه من الأنبياء ، وشأنه فيما سماهم أو وصفهم به الله ، وبما أطلق عليه من إطلاقات لفظ (البنوة) شأنه فى ذلك شأنهم .

وقد تكون صياغة العبارة « مسبوقا (بالقاف) بهذه البنوة » فيكون المعنى : إذا كان المسيح قد وصف بأنه (ابن الله ، وابن النعمة ... الخ) فقد سبقه إخوانه الأنبياء ووصفوا بهذه الصفة .

(٢) أى إذا لم يصح ما نقله كتبة الأناجيل والرسائل من النصارى ، من أن المسيح عليه السلام : أنه ابن الله فلا بنوة ، وتكون دعوى بنوته لله باطلة لا دليل عليها ، وإن ثبتت صحة نقلهم ، فلا مزية للمسيح بهذه البنوة على من سبقه من إخوانه الأنبياء ، فمنهم من وصف بها قبله .

(٣) «ربانى» فى «أبى ربانى» بهذه الصياغة لا وجود لها فى الأسفار جميعاً .

- وفى يوحنا بنص آخر على لسان المسيح عليه السلام : « أنا الكرمة الحقيقية ، وأبى الكرام » (يوحنا ١/١٥)

(٤) ومن ذلك أيضا : أ - أنعم على إبراهيم بنعم جمة عرفه ببعضها ، فمنها :

« وقال له : أنا الرب الذى أخرجك من أورا الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها» (تكوين ٧/١٥)

« وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدى بينى وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا *...*... وتكون أبا الجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا ... » (تكوين ٢/١٧-٦)

* قال المؤلف : فإذا كان هذا هو المعهود عندهم فى لفظ البنوة فلا معنى للإطناب فى بنوة المسيح ، ولا تخصيص البارى بأبوته .

– ولما كثر هذا الخبط والتخليط فى هذه الألفاظ جاء الكتاب العزيز فقال : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ... (١)» .

قولوس الرسول فى رسالته الخامسة (٢) : إياكم والسفه والسب والغرور واللعب ، فإن الزانى والنجس والغاشم كعابد الوثن لا نصيب له فى ملكوت الله ، احذروا هذه الشرور فمن أجلها يأتى زجر الله ، الأنبياء الذين لا يطيعونه ، وإياكم أن تكونوا شركاء لهم، فقد كنتم قبل فى ظلمة ، فاسعوا الآن سعى أبناء النور (٣) .

* قال المؤلف : فهذا قولوس حكيم النصارى وإمامهم قد سمى من يعمل بالمعاصى أبناء ، كما سمى المتقين أبناء ، فقد استبان لكم مرادهم بالبنوة التى يطلقونها ، وذلك فى التوراة والإنجيل كثير ، فلنقتصر على هذا القدر ، فقد أطلنا النفس فى هذا الباب فى الكتاب الكبير (٣) .

---

(١) من الآية الكريمة ٩١ من سورة المؤمنون .

(٢) قولوس – هو «بولس» ورسالته الخامسة إلى أهل أفسيس ، وهى ست إصحاحات ص ٣١٢–٣١٨.

(٣) والنص فى الإصحاح الخامس : « وأما الزنى وكل نجاسة ، أو طمع فلا يوسم بينكم كما يليق بقديسين * ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق ، بل بالجرى الشكر * فإنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله ، لا يغركم أحد بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله علي أبناء المعصية ، فلا تكونوا شركاءهم لأنكم ، كنتم قبلا فى ظلمة ، وأما الآن فنور فى الرب * أسلكوا كأولاد نور » (أفسس ٥/١–٨)

* تعقيب : وإذا كان بولس قد أطلق على العصاة « أبناء المعصية »وعلى الطائعين (أبناء النور) فقد أطلق هو وغيره كثيراً على المؤمنين « أولاد » وبنات الله » وعلى العصاة والكفار « أولاد وأبناء الشيطان ، وإبليس ، وعلى الزناة أبناء الزنا ، وعلى البررة أبناء البر ، وهكذا .

(٤) الكتاب الكبير للمؤلف هو « التخجيل لمن حرف التوراة والإنجيل » .
وللإمام ابن تيمية كتاب فى هذا الموضوع هو « تخجيل من حرف التوراة وبدل الإنجيل » .

* فإن قيل : كل من ذكرت ممن وردت فيه هذه اللفظة معروف الأب خلا المسيح ، وإذا لم يكن له بد من أب فمن أبوه ؟ فنقول : وإذا لم يكن لآدم بد من أب فمن أبوه ؟

* فإذا قالوا : إن آدم خلق أعجوبة . إذ خلق من غير تناسل معروف، ولا توالد مألوف .

- قلنا وكذلك ، المسيح أيضا خلقه الله آية وأعجوبة ، أن خلقه من غير أب [١] ، وكم قد خلق الله من المخلوقات أبتداءً من غير ولادة سابقة ، كناقة صالح [٢] وغيرها ، وقد أبتدأ الله العالم سبحانه على غير مثال سابق [٣]، «فأى آيات الله تنكرون» [٤] .

* وأما لفظتا الإله والرب المذكورتان فى كتبهم ، فهى مما يخاطب بها العظيم القدر من الملائكة [٥] والآدميين ، والدليل عليه حجج :-

* **الحجة الأولى:** قالت التوراة [٦] إن ثلاثة [٧] ، من الملائكة مروا بإبراهيم فسجد لهم وقال لهم : يارب [٨] ميلوا إلى منزل عبدكم [٩]، ففعلوا

---

(١) ونص القرآن الكريم على أن خلق عيسى مثل خلق آدم : فقال تعالي « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » : (٩٥ آل عمران) .

* وفي التوراة : « وجعل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حيوة ، فصار آدم نفسا حية » (تكوين ٢/ ٧)

(٢) ليس فى الكتاب المقدس شئ عن ناقة صالح ، ولا عن صالح أو هو وغيرهما من الأنبياء بين نوح وإبراهيم إلا ما ذكروه من أبناء إبراهيم عليه السلام .

(٣) ففى أول سفر التكوين:«فى البدء خلق الله السموات والأرض» (تكوين ١/١)

(٤) كلمات الذكر الحكيم - من الآية (٨١ غافر) .

(٥) الملائكة : فى المخطوطة (المليكة) بالياء بدلا من الهمزة ، وبالهاء من تاء التأنيث .

(٦) التوراة : المقصود . الإصحاح الثامن من سفر التكوين .

(٧) ثلاثة : فى المخطوطة (ثلثة) بدون ألف المد بعد اللام ، وبهاء بدون نقطتين .

(٨) الملائكة بالمخطوطة (المليكة) ، بإبراهيم = (بابرهيم) عبدكم (عندكم) وجاء بماء (وجاء بما) - الخ) ومن النص - ونظر - ابراهيم وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض وقال يا سيد ، إن كنت قد وجدت نعمة فى عينك فلا تتجاوز عبدك .... الخ . (تكوين ١/٨-٨)

(٩) فى النسخة الحالية : « ... يا سيدى ميلا إلى بيت عبدكما ... » (تكوين ١٩:١،٢)

وأضافهم ، وجاء بماء فغسل أقدامهم [١]، ثم توجهوا إلى سدوم فأضافهم لوط وخاطبهم بلفظ الربوبية [٢] أيضا .

* قال المؤلف : ونحن والنصارى متفقون على عدم التعبد للملائكة ، فقد وضح أن لفظ الربوبية ها هنا محمول على الإجلال والإعظام .

* **الحجة الثانية**: قالت التوارة ، قال الله تعالى لموسى ، قد جعلناك إلاها [٣] لفرعون .

وإنما يريد ملكاً عليه ، ومتحكما فيه .

* **الحجة الثالثة**: قالت التوراة : لما شكا موسى إلى الله لثغة فى لسانه ، وعجمة فى منطقه قال الله له : قد جعلتك ربا لهارون أخيك ، وجعلته لك نبيا ، أنا أمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بنى إسرائيل [٤] .

---

(١) فى المخطوطة إلها (خروج ٧ : ١)

(٢) النص فى سفر الخروج – النسخة الحالية مختلف لفظا .

« قال – أي الرب لموسى – أليس هارون اللاوى أخاك ... فتكلمه وتضع الكلمات فى فمه ، وأنا أكون مع فمك ومع فمه ، وأعلمكما ماذا تصنعان ، وهو يكلم الشعب عنك ، وهو يكون فما وأنت تكون له إلاها » (خروج ٤:١١-١٦)

* ويلاحظ أن المعنى غير مختلف والعبارات مختلفة ولا مانع من أن يكون الاختلاف نتيجة اختلاف الترجمات وتباعد الزمن بين الترجمتين .

أ – فعبارة المؤلف : « قد جعلتك ربا لهارون » يرادفها فى نص سفر الخروج « وأنت تكون له إله ».

ب – وعبارة المؤلف : « وجعلته لك نبيا » يرادفها فى نص سفر الخروج « وأنت تكون له إله » .

جـ – وعبارة المؤلف : « أنا آمرك وأنت تبلغه » يرادفها فى نص سفر الخروج « فتكلمه تضع الكلمات فى فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه » .

– فالله تعالي يوحى إلى موسى وهارون عليهما السلام « وأنا أكون مع فمك وفمه » وموسى يخبر هارون بالوسيلة التي يتفاهمان بها سواء بالنطق أو بالإشارة » فتكلمه وتضع الكلام فى فمه .

(٣) النص فى المزمور « الله قائم فى مجمع ، فى وسط الآلهة يقضى (مزمور ١/٨٢) .

– **تعقيب**: هذا التعبير مشكل ، ولكن يزيل هذا الإشكال التقديم الذي قبله فى النسخة الجديدة من الكتاب المقدس التى أخرجتها دار الكتاب المقدس بمناسبة العيد المئوى لانشاء الدار .

ونصّ التقديم بعد عنوان » المزمور الثاني والثمانون – فهو يحث القضاة على إتمام واجباتهم ويوبخهم ويهددهم .

(٤) نفس المزمور السابق وقد فسر محققو النسخة الجديدة من الكتاب المقدس عبارة (مجمع الله) بأنهم جماعة القضاة (مزمور ٦/٨٢

تعليق المؤلف : فلم يقل الله للمسيح : قد جعلتك ربا إلها ، فمن خاطب المسيح بالربوبية فى ذلك الوقت فإنما جرى على المعهود عندهم ، والمألوف بينهم ، لأن المسيح مبلغ عن الله ، كموسى وغيره من أنبياء الله تعالى .

* **الحجة الرابعة**: قال داود فى المزمور الثانى والثمانين : قام الله فى جماعة الآلهة .

– وقال داود وهو يعنف العلماء والأكابر من بنى إسرائيل : أنا قلت لكم : إنكم آلهة ، وبنى العلى كلكم تدعون . فقد سمى الملائكة والعلماء آلهة وأبناء ، وإنما أراد المدبرين ومن يرجع إليه .

* **الحجة الخامسة**: قال داود فى مزمور له وهو يصف يوسف وفرعون فَجَلاً (١) الملك يوسف وصيره سلطانا على شعبه ، وربًا على بيته (٢) .

وإنما يريد القيم عليهم ، والمدبر لأمورهم .

* وقال (٣) أيضا يوسف للساقى : « إذكرنى عند ربك يريد = مدبرك – عندما فسر له رؤياه .

وفسر الإمام (أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى (جماعة الله) هنا بأنهم الملائكة والعلماء ، والتفسيران متقاربان ، وإن كان تفسير محققى الكتاب المقدس أنسب للمعنى والمقام .

– وعبارة الشيخ صالح بـ « أنا قلت – إنكم آلهة ، وبنى العلى كلكم تدعون » – وعبارة المزمير : « أنا قلت – إنكم آلهة ، وبنوا العلى كلم – »

(١) جَلاً الملك يوسف : بمعنى أظهره وأعلا شأنه ، وجعله متصرفا فى البلاد بعد أن ظهرت براءته مما نسبته إليه زليخة إمرأة العزيز السابق (قوطيفار) .

(٢) نص عبارة النسخة الحالية : « أرسل الملك فحله ، أرسل سلطان الشعب ، فأطلقه ، أقامه سيدا على بيته ، وسلطانا على ملكه» (مزمور ١٠٥/٢١، ٢٢)

– وفى سفر التكوين قال فرعون ليوسف : « أنظر قد جعلتك على كل أرض مصر * وخلع فرعون خاتمه من يده وجعله فى يد يوسف * ... وقال فرعون ليوسف : فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله فى كل أرض مصر ... فخرج يوسف من لدن فرعون واجتاز فى كل أرض مصر » (تكوين ٤١/٤٠–٤٦)

(٣) فى المخطوطة : (ولقد أيضا) ويبدوا أنها خطأ من الناسخ .

* وقد قال شمعون [1] الصفا : إن الله جعل يسوع ربا [2] فما نرى شمعون زاد المسيح على ما قالت التوراة فى موسى والمزامير فى يوسف .

* **الحجة السادسة:** على صرف هذه اللفظة عن ظاهرها : قال يوحنا : جلس يسوع فى اسطوان سليمان[3] ، فأحاطت به اليهود وتناولوا الحجارة

---

(١) شمعون الصفا : هو بطرس : كبير حوارى (تلاميذ) المسيح وبطرس : اسم يونانى معناه « صخرة » أو « حجر » ، وكان (هذا الرسول) بطرس قبل اتباعه المسيح يسمى (سمعان) ، وسمعان تنطق بالعبرية (شمعون) فلما تبع المسيح سماه المسيح « كيفا » وهى كلمة آرامية معناها صخرة ، يقابلها فى العربية صفا : أى صخرة ، وقد سماه المسيح بهذا الاسم : والصخرة باليونانية : بيتروس ، ومنها بطرس .
(يوحنا ١/٤٢ ، متى ١٦/١٨ ، ويراجع قاموس الكتاب المقدس ١٧٤)

(٢) نص عبارة الشيخ أبى البقاء « إن الله جعل يسوع ربا » توجد عبارتين قريبتين منها فى أول رسالة بطرس الأولى ، وأول رسالته الثانية : « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حيوة بقيامة يسوع المسيح » .
الثانية : « إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثمينا مساويا لنا ببر الهنا والمخلص يسوع المسيح لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله يسوع ربنا » .
تراجع (الأولى : رسالة بطرس الأولى ١/٣) والثانية (الرسالة الثانية ١/١ .٢)

(٣) النص فى النسخة الحالية : « وكان عيد التجديد فى أورشليم * وكان يسوع يتمشى فى الهيكل ، فى رواق سليمان * فاحتاط به اليهود وقالوا له : إلى متي تعلق أنفسنا إن كنت المسيح فقل لنا جهرا * أجابهم يسوع إنى قلت لكم ولستم تؤمنون ، الأعمال التى أعملها باسم أبى هى تشهد لى * ... » (يوحنا ١٠/٢٢-٢٥)
* فتناول اليهود حجارة ليرجموه * أجابهم يسوع : أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى ، بسبب أبى عمل منها ترجموننى * أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل ، بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها * أجابهم يسوع : « أليس مكتوبا فى ناموسكم . أنا قلت : إنكم آلهة * أن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله . ولا يمكن أن ينقض المكتوب فالذى قدسه الأب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تجدف لأنى قلت إني ابن الله » .
(يوحنا ١٠/٢٦-٣٦)
تعقيب: يشير النص المنسوب هنا للمسيح « أليس مكتوبا فى ناموسكم : أنا قلت إنكم آلهة » إلى ما نسب إلى أيوب عليه السلام فى سفره بالعهد القديم فى حديث يوجهه إلى القضاة والعلماء .
« الله قائم فى مجمع الله ، فى وسط الآلهة » . (مزامير ٨٢/١)
وتفسيره : داود قائم بين جماعة العلماء والقضاة .
« أنا قلت إنكم آلهة ، وبنو العلى كلكم » (مزامير ٨٢/٦)
وتفسيره أنتم الذين تحملون كلام الله وتعرفون تأويله وتفسيره ، وتنسبون بذلك إليه فاحكموا بين الناس بالعدل ، وكما يحب الله الفقراء والمساكين ويحسن إليهم ، فكونوا أنتم مثله ، وكما /

ليرجموه ، وقالوا : حتى لماذا تعذب نفوسنا، فقال : أريتكم أعمالا حسانا من عند الله ، فمن أجل أى الأعمال ترجمونى ؟ قالوا : إنما نرجمك لأنك بينما أنت إنسان إذ جعلت نفسك إلاها . فإذا قيل لأولئك آلهة لكون كلمة الله عندهم فالذى قدسه الله وأرسله إلى العالم يقولون إنه يجدف . .

* قال المؤلف : فتأملوا حكم الله كيف صرح المسيح ها هنا أن الألوهية الدائرة فى ألسنة القوم متروكة الظاهر ، وأنها كلمة يخاطب بها الأكابر من الناس فى ذلك الزمان ، فلما كثر فيها اللبس منع منها وسد الباب فيها ، وصارت لا تطلق إلا على البارى وحده .

* وقد قيل إن اشتقاقها من الوله ، فيقال : ألهت إليه : أى تحيرت فيه.

أو ولهت إليه : أى افتقرت إلى معونته ، وقد صرح المسيح فى هذا الكلام بأنه رجل قدسه الله ، وأرسله إلى الناس أسوة بغيره من المرسلين .

* وأنه كان ينهى من يخرجه عن الآدمية ، والدليل على ماقلناه . أن مرقس ولوقا من جدولى[1] الإنجيل قالا : إن المسيح قيل له يوما : أنت ابن الله ، فكان ينهرهم وينهاهم [2] ، وذلك مما يوضح غلط المتأخرين ، وكيف لا ينهاهم عن ذلك ؟

يحابى الأقوياء لقوتهم ، ولا يحابي الأغنياء لأموالهم ، وكما ينصف الضعفاء من الطغاه ، والفقراء من الأغنياء فكونوا أنتم كذلك .

(١) جدولى الإنجيل : شبه أبو البقاء إنجيلى مرقس ولوقا بأنهما جدولى ماء.

فى مرقس (الترجمة الحالية « .... سأل - المسيح - تلاميذه قائلا لهم : من يقول الناس أنى أنا * فأجابوا يوحنا المعمدان ، وأهرون إيليا وأخرون واحد من الأنبياء * فقال لهم : وأنتم من تقولون أنى أنا ، فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح * فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » .

(مرقس ٢٧/٨ - ٣٠)

- وفى لوقا : « ... * فأجاب بطرس وقال : مسيح الله * فانتهرهم وأوصى . ألا يقولوا ذلك لأحد »

يراجع (لوقا ١٨/٩- ٢١)

(٢) وفى لوقا : أن الملاك جاء إلى ليبشرها بالمسيح وقال لها .

* وجبريل يقول لمريم أم المسيح عندما بشرها وهى بكر عذراء : إنك تحبلين حبلا بولد يسمى يسوع ، يجلسه الرب على كرسى أبيه داود [1].

فيالله العجب . جبريل الأمين يخبر عن رب العالمين أن المسيح بن داود، والنصارى اليوم يقولون : كلا . ماهو ابن داود ، ولكنه ابن الله ورب داود ، لقد ناقضوا جبريل ، وعارضوا نصوص الأنجيل ، وقد وضح لكم رحمكم الله أن الظواهر متروكة ، وأن طرقها الخطرة غير مسلوكة ، وأن الألوهية لا يليق بجلالها إلا الوحدة ، وأن الربوبية لا تنبغى إلا لله القديم الأزلى وحده ، وأن من عداه فحسبه أن يكون عبده ومرتزق مما عنده .

المسألة الخامسة: فى أن المسيح وإن قصد بالأذى وطلب . ما قتل وما صلب [2] . وتبين ذلك بحجج .

---

(١) « وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا ، وتسميه يسوع * هكذا عظيماً ، وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب ... » (لوقا ١/٢١– ٢٣)

– وإنجيل متى يكتب نسبه . فيقول : كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . (متى ١ / ١)

– وفى انجيل لوقا : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن : ابن يوسف بن هالى ... الخ . (لوقا ٣ / ٢٣)

(٢) « وما قتل وما صلب » سياق الحديث والقصة كان يقتضى أن يقول : وما صلب وما قتل ، لأن الصلب فى زعمهم كان أولا ثم طعن فى جنبه بحربة من أحد الحراس ، ثم مات ، ولكن الشيخ صالح قدم القتل مراعاة لسجع العنوان (قصد بالأذى وطلب ، وما قتل وما صلب) .

– وإذا كان المؤلف قد اعتمد فى مناقشته للنصارى فى مسألة القتل والصلب على محتوى النصوص وإبراز ما تدل عليه لرد حججهم وبيان فساد مفهومهم .

فإنى وفاء لما ذكرت فى التمهيد ، سأضيف فيما يلى بعض الملاحظات التى تبرز أو تؤازر ما أبرز الشيخ سيرا على طريقته .

وأيضاً تحقق مصدوق القاعدة الأصولية المتعارف عليه : (أن النصوص إذا تعارضت تساقطت) .

وبادئ ذى بدء يمكن الإشارة إلى أن القرآن الكريم قد نفى نفيا قاطعا وقوع مزاعم اليهود فى دعوى محاكمة وصلب وقتل وقبر المسيح عليه السلام في آية جاءت ضمن سياق يعدد مخازى اليهود وصور كفرهم – ومنها : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما » (١٥٦ النساء)

– وعن الصلب والقتل : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسي بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن ، شبه لهم ... » من الآية (١٥٧ النساء) ثم تتمة الآية تتحدث عن اختلاف النصارى فى صور هذا الحادث ، وتبين أن سبب الاختلاف الذى يلاحظ للعيان بين الأناجيل

يرجع إلى أن هذه الأحداث لم يعاينها أحد من ثقات النصارى حتي يمكن أن يخبر من عاين وشاهد عن علم وبينة، لا عن مجرد الظن فيقول تعالى (تتمة الآية): « إن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا » .

- ثم تثبت الآية التالية ما وقع للمسيح عليه السلام بالفعل : « بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما » (١٥٨ النساء)

- وبما أن الصلب قضية ، فإن من القواعد البسيطة المتفق عليها التي تضبط أحكام الحكماء والقضاة والعلماء ، وكل متصدر للحكم : (أن كل ما تسرب إليه الإحتمال سقط به الاستدلال) .

- فحين تختلف فيه شهادة شاهدين أمام قاض في محاكمة ، فإن عدالة الحكم تقتضي عدم الإعتداد بأى من الشهادتين ، حتى تتبين الثقة فى إحداهما إما بتعزيزها بشهادات أخرى ، أو قرائن لا تحتمل شكا ، وبناء على ذلك نحاول أن نتتبع مفردات حادث الصلب فى انجيل مرقس باعتباره أصلا أخذ عنه مؤلفو الأناجيل الأخرى ، وأشير إلى خلاف الأناجيل الآخرى في كل مسألة ، ومرجع نصوصها .

أ - حامل الصليب :

- يقول مرقس : « ثم خرجوا به ليصلبوه ، فسخروا رجلا مجتازاً كان آتيا من الحقل وهو سمعان العيروانى (مرقس ١٥/٢٠) وتتفق مع هذه روايتا متى ولوقا فى المضمون ، وتختلفان معها في الصياغة . يراجع (متى ٢٧/٢١،٢٢، لوقا ٢٣/٢٦)

- ولكن يوحنا يجعل المسيح هو الذى حمل الصليب : يراجع (يوحنا ١٩/١٦،١٧)

ب - شرب المسيح على الصليب :

- يقول مرقس : « أعطوه خمراممزوجة بمر ليشرب فلم يقبل » . (مرقس ١٥/٣٢)

- وأما لوقا فلم يقل عن هذه الواقعة شيئاً .

- وأما يوحنا فيورد قصة مختلفة : فالمسيح عنده هو الذى : « رأى أن كل شئ قد كمل ، فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان ، وكان إناء موضوعا مملوءً خلا ... » (يوحنا ١٩/٢٨-٣٠)

جـ - علة المسيح (الذنب المنسوب إليه) :

- يقول مرقس : « وكان عنوان مكتوبا : ملك اليهود ... » (مرقس ١٥/٢٦)

- وفى متى قريبا من ذلك .

- أما لوقا فينقص بعض العبارات ، ويضيف : « بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية » (٢٣/٢٨)

- ورواية يوحنا قريبة من رواية لوقا مع بعض الزيادات . (يوحنا ١٩/١٩، ٢٠)

* ولأستاذ اللاهوت فى جامعة لندن . د / دنيس نيهام تعقيب على هذه الخلافات الشديدة حول صحة ما كتب عن علة المسيح هذه .

يراجع (تفسير انجيل مرقس ٤٢٤)

د - خبر من صلبا مع المسيح :

- يقول مرقس : « وصلبوا معه لصين ... * واللذان صلبا معه كانا يعيرانه » .

- وعبارة متى قريبة من هذه: يراجع (مرقس ١٥/٢٧-٣٢)، (متى ٢٧ / ٤٤)

- وعبارة لوقا مختلفة تماما : حيث كان أحد اللصين يسخر من المسيح ، أما الآخر فانتهز زميله وأنصف المسيح ، وطلب منه الشفاعة عند الله .

يراجع (لوقا ٢٣ / ٣٩ - ٤٢)

- وأما يوحنا فلم يرد عن هذه الواقعة شيئاً - ربما لم يعلم بها أو علم ولم يقتنع.

هـ - وقت الصلب:

- مرقس : « وكانت الساعة الثالثة فصلبوه ... » (مرقس ١٥/٢٥)

- وأما متي ولوقا فلم يذكرا شيئاً عن وقت الصلب .

- وأما يوحنا : فكعادته فى الغالب تختلف روايته بل قد تتعارض تماماً فبينما نجد فى مرقس ومتى الصلب كان قبل الفصح ، وفى مرقس كان فى الساعة الثالثة :-

- يقول يوحنا : « وكان استعداداً للفصح ، ونحو الساعة السادسة .. فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب ...* حيث صلبوه ... » (مرقس ١٩/١٢- ١٨)

* يعيب نينهام على كتاب الأناجيل هذه التوقيتات ، ويشك فى مصداقيتها .

(يراجع : تفسير انجيل مرقس ٤٢٤)

واستغفار يسوع لمن ظلموه وصلاته على الصليب:

- لم يذكر مرقس ، ومتى ، ويوحنا شيئاً عن هذه الواقعة ، وانفرد بها لوقا .

يقول لوقا : « ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه ...*

فقال يسوع : يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣/٢٣،٢٤)

* كتب : جورج كيرد : مؤلف كتاب (تفسير إنجيل لوقا ص ٢٠٥) تعقيبا على هذه المسألة .

ز- صراخ المسيح على الصليب:

- بين الأناجيل اختلافات بينة فى أجزاء من النصوص ، بل وفى بعضها عبارات غير الأخرى تجعل الروايات متناقضة .

- ففى مرقس : « وكانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها ..* وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : ألوى ألوى لما شبقتنى ، الذى تفسيره : إلهى إلهى لماذا تركتنى » . (تفسير مرقس ١٥/٣٢ - ٣٤)

- وعبارة متى : تتفق مع عبارة مرقس فى المقطع الأول ، وينقص منها المقطع الثانى وهو عبارة « ألوى ألوى ... » ويزيد عليها : « فصرخ أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح »
(متى ٢٧/٤٥ - ٥٠)

- أما لوقا فيذكر أن المسيح قال : « يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » (لوقا ٢٣/٢٣، ٢٤)

- أما يوحنا فيذكر أن المسيح قال : « قد أكمل ، ثم أسلم الروح » (يوحنا ١٩/٣٠)

* سمى نينهام أن صرخة المسيح التى ذكرها مرقس ومتى - صرخة اليأس ، وذكر أنها لا تزال تثير عددا من المشاكل ، ولا تزال موضع جدل بين العلماء .. يراجع (تفسير إنجيل مرقس)

ح- الأحداث التى قيل بوقوعها بعد صلب المسيح:

- ذكر مرقس ، ووافقه متى: « انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل

- ثم يقول مرقس : « ولما رأى قائد المئة ... قال : حقا إن هذا الإنسان ابن الله (١٥/٣٨، ٣٩)
- ويضيف متى « والأرض تزلزلت والصخور تشققت ، والقبور تفتحت ، وقام كثير من الأجساد القديسين الراقدين ، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة » (متى ٢٧/٥١ - ٥٣)
- أما لوقا فتختلف روايته تماما فيقول : « أظلمت ، وانشق حجاب الهيكل من وسطه ، فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا » (لوقا ٢٢/٤٥ - ٤٧)
- أما يوحنا فلم يذكر شيئاً عن هذه الواقعة .
* ولجون فنتون فى تفسيره لإنجيل متي تعقيب هام وطريف فيراجع (ص ٤٤٤)

ط - من شهدوا حادث الصلب :

- لم يشهد حادث الصلب أحد من أتباع أو أهل المسيح مشاهدة يعتد بها .
- فمرقس ويوحنا تكاد روايتهما تتفق فى الآتى : « وكان نساء ينظرن من بعيد ، بينهن مريم المجدلية، ومريم أم يعقوب ، وسالومى » (مرقس ١٥/٤٠، ٤١) ، (متى ٢٧/٥٥ ، ٥٦)
- وقريبا من هذا يقول لوقا : « وكان جميع معارفه ، ونساءكن تبعنه من الجليل واقفين من بعيد ينظرن ذلك » (لوقا ٢٣/٤٩)
- وعبارة « وكان جميع معارفه » ينكرها الباحثون - يراجع تفسير أنجيل لوقا - لجورج كيرد .
- أما يوحنا - فكالعادة يخالفهم جميعا ، وينفرد بقوله : « وكان واقفا عند صليب يسوع : أمه ، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية »

(يوحنا ١٩/٢٥)

- ولا يرتضى هذا العلماء والباحثون : يراجع (تفسير إنجيل متي ٤٥٥) ، و (تفسير إنجيل مرقس ٤٣١) .
- يقول جون فنتون : « لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع ، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة ، فإننا نسمع عنه أكثر من هذا بعد إنكاره المسيح ثلاثا : »

(تفسير إنجيل متى ٤٥٥)

- ويعلق العلماء على ما قاله يوحنا عن وجود أم المسيح وأخريات عند الصليب بقولهم : « إنه من غير المحتمل أساسا أن يكون قد سمع بوقوف أقارب يسوع وأصدقاؤه بالقرب من الصليب » . (تفسير انجيل مرقس ٤٣١) .
- وفى دائرة المعارف البريطانية تعقيب على هذه الأحداث نجتزء منه ما يلى :

« نجد الأناجيل الثلاثة المتشابهة تذكر أن النساء فقط تبعن يسوع ، وأنهن كن ينظرن من بعيد » ، ولكن فى يوحنا نجد أن والدته تقف مع مريمين أخريين والتلميذ المحبوب تحت الصليب ، هذا بينما لا تظهر أمه فى أورشليم - حسبما ذكرته المؤلفات القديمة - إلا قبيل عيد العنصرية فى رفقة إخوته » . (أعمال الرسل ١/١٤) ، (دائرة المعارف البريطانية ١٣/٩٩)

- فأى إنجيل من هذه الأناجيل يمكن أن نقول بصحة رواياته ، وما دليلنا على ذلك ، وإذا أخذنا بروايات أحد هذه الأناجيل فماذا يكون موقفنا من روايات الأناجيل الثلاثة المدونة معه ضمن العهد الجديد ؟

* **الحجة الأولى:** هو أن يقول لهم : ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواترا أو آحادا ؟

- فإن نقلوه نقل الآحاد لم تقم به حجة فى القطعيَّات [(١)] .

---

(١) الشيخ أبو البقاء : يرى أن نقل (خبر) الآحاد لا تقوم به حجة فى القطعيات.

- وهذا تعميم نتحفظ عليه ، فخبر الواحد منه المقبول ، الصحيح والحسن) ومنه غير المقبول (الضعيف والموضوع) ، وفى الضعيف خلاف: هل يعمل به أم لا.

* فمن المعلوم أن الخبر المتواتر يفيد العلم اليقينى ويجب العمل به مطلقا، أى فى الأصول والفروع ، فى العقائد والأعمال .

يراجع (المستصفى ١٣٢/١-١٣٣) ، إرشاد الفحول ١٦ ، وشرح نخبة الفكر ٦٥) .

* وأما خبر الآحاد فمنه المقبول ، ومنه غير المقبول .

- فأما المقبول : وهو ما توفرت في متنه وسنده شروط التوثيق ، ولكنه لم يبلغ فى عدد رواته درجة المتواتر .

- ما يفيد خبر الآحاد : ذهب العلماء فى مجال الأخذ به مذاهب شتى . وباختصار .

المذهب الأول: أن خبر الواحد الثقة يفيد العلم اليقينى مطلقا .

- وممن قال بذلك : داود الظاهرى ، والحسين بن على الكرابيسى ، والحارث بن أسد المحاسبى ، والشافعى ، والإمام أحمد (فى رواية) وابن حزم .

يراجع (الصواعق المرسلة لابن القيم ١١٢/٢ ، الإحكام لابن حزم ١٣٧/١)

- واختاره من المتأخرين العلامة صديق حسن خان (الدين الخالص ٢٨٤/٣)

- واختاره من المعاصرين العلامة الشيخ أحمد شاكر (الباعث الحثيث ص ٣٧)

المذهب الثانى: أن خبر الواحد الثقة يفيد العلم اليقينى إذا احتفت به قرائن.

- وهذا مذهب عامة أهل الحديث ، وكثير من محققى الفقه والأصول والكلام من حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة وغيرهم .

- وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنواع المحقق بالقرائن. (نزهة النظر شرح نخبة الفكر ص ١٠)

- وقال ابن كثير : وقفت على كلام لشيخنا ابن تيمية مضمونه : أنه نقل القطع بالحديث الذى تلقته الأمة بالقبول عن جماعة من الأئمة منهم ... » (مختصر علوم الحديث ٣٦)

- وقال الإمام الصنعانى : إن خبر الواحد يفيد الظن ، فإذا حفته القرائن أفاد العلم ، ...

(توضيح الأفكار ٢٦/١)

المذهب الثالث: أن خبر الثقة يفيد الظن ، ولا يفيد العلم ، ولا فرق بين البخارى ومسلم وغيرهما ، ولكنه حجة من حجج الشرع يلزم العمل به سواء كان فى العقائد أم فى غيرها ، وقال بهذا كثيرون .

يراجع : (المسودة لابن تيمية ٣٤٤ ، التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ٢/١ ، ٣ التقريب ٦٠)

المذهب الرابع: أن خبر الآحاد يفيد الظن ، ولذلك لا يصح الاعتماد عليه فى العقيدة وفى المغيبات ، أما ما سوى ذلك من الأحكام العملية وغيرها فإنه يجب العمل به ، وممن قال بهذا بعض علماء

وإن ادعو فيه التواتر : قلنا لهم شرط التواتر أن يستوى ، فيه الطرفان والواسطة . وهو أن ينقله الجم الغفير ، والجمع الكبير الذى لا تجمعهم رابطة التواطؤ على الكذب ، ولا يزالون فى الكثرة كذلك إلى أن تنتهى النوبة (١) إلى المشهود به المخبر عنه (٢) .

الكلام ، وجمع من المتأخرين والمعاصرين منهم الشيخ عبدالوهاب النجار (فى قصص الأنبياء ، ص ٤٢٤) والشيخ محمود شلتوت فى الفتاوى ص ٥٤) وهذه الأقوال مرجوحة ناقشتها لسة من العلماء باختصار شديد : يراجع خبر الآحاد بين القبول والرد ص ٢٠٠ من مجلة كلية الآداب - جامعة الإمارات العربية المتحدة - العدد السابع سنة ١٤١١ هـ ١٩٩١)

المذهب الخامس: وهو أن حديث الآحاد لا يحتج به لا فى العقائد ولا فى الأحكام .

وهو مذهب : الخوارج والمعتزلة يقول د / حسن صبرى : وحجة هؤلاء نفس حجة المذهب السابق (المذهب الرابع) .

قلت وهذا المذهب باطل، لأن من لوازمه الاقتصار على ما جاء فى القرآن الكريم ، وعلى الأحاديث المتواترة والتى لا يصل عددها إلى مائتى حديث ، وكان هؤلاء هم الذين عناهم الرسول ﷺ فيما صح عنه من حديث المقداد بن معد يكرب ... الحديث ... إلى أن يقول : إن الحق الذى لا يعول على غيره أن خبر الآحاد يفيد العلم والعمل جميعاً إذا كانت توفرت فيه شروط القبول ، ولم يطعن فيه أحد من العلماء المعتبرين سواء كان فى الصحيحين أم فى غيرهما ، ... ثم أورد الأدلة التى تفيد ذلك من الكتاب ، والسنة والإجماع ... بتصرف يراجع : (المصدر السابق ص ٢٢-٣٠)

* وفى حكم العمل بالحديث الضعيف يقول : د / محمد أديب الصالح فى كتابه : لمحات فى أصول الحديث .... الذي يحتج به عند العلماء هو - المقبول من الأحاديث ، ويندرج تحت ذلك : الحديث الصحيح ، والحديث الحسن .

- أما الحديث الضعيف فقد جري بالنسبة العمل به اختلاق الآيات الآراء ، وتعدد المذاهب .

المذهب الأول: أنه لا يعمل به مطلقا : سواء كان ذلك فى الأحكام الشرعية أم فى الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ، والاحتياط ، وهو منقول عن ... »

المذهب الثانى: أنه يعمل به مطلقا إذا لم يكن فى الباب غيره ، وهذا مذهب عزى للإمام أحمد... وغيره .. أ.هـ

المذهب الثالث: يعمل بالحديث فى فضائل الأعمال والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب ونحو ذلك .

أما إذا كان فى العقائد ، ... أو كان في الأحكام الشرعية من حلال وحرام وغيرهما فإنه لا يعمل به ، الخ . بتصرف يراجع : (لمحات فى أصول الحديث : ١٩٦ - ١٩٩) .

(١) النوبة : فى قوله « إلى أن تنتهى النوبة » من ناب : يراجع : ترتيب القاموس .

أ - يمكن أن تكون من (ناب) : بمعنى رجع = ويكون المعنى : إلى أن ينتهى السند ويرجع (أى يصل) إلى رسول الله - وهو هنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

– فإن زعم النصارى : أن خبر قتل المسيح من هذا القبيل حاكمناهم إلى نصوص الإنجيل الذى بأيدى القوم ، وقلنا لهم : ليس الكتاب الذى بأيديكم اليوم ، وعليه معولكم يخبر أن المأخوذ للقتل والصلب لم يحضره من اليهود إلا أفراد وأفداد (١)، ولم يحضره من أتباعه سوى شاب واحد (٢) وبطرس (٣) .

فأما الشاب فتعلق الشرط بإزاره فتركه فى أيديهم وذهب (٤) ، وأما بطرس فدخل معه الدار فَنَمَّتْ عليه فتاة من الجوارى فحلف أنه لم

ب – ويمكن أن يكون من (الناب) وهو الطريق إلى المخبر : ويكون المعنى : أيضاً السابق : وهو : إلى أن ينتهى طريق الرواة إلى المسيح عليه السلام .

تراجع مادة : نوب فى : ترتيب القاموس ، المعجم الوسيط وغيرهما .

(٢) المشهود به ، المخبر عنه أهو المسيح عيسى عليه السلام ، وأن يصح الخبر عنه على لسان جمع ممن شاهدوه وأخبروا عنه .

(١) أفدادا : الفديد : صوت عدو الشاء مع رعاتها .

والفدادون : الجمالون ، والباقرون ، والحمارون والفلاحون ، والرعاة ، والذين تعلوا أصواتهم فى حروبهم ومواشيهم .... الخ (ترتيب القاموس – مادة – فدد)

(٢) لم يرد فى متى ذكر لأحد لا من تلاميذه ، ولا أقاربه ومعارفه كان قريبا من مكان صلبه ، والذين شاهدوه : هم المجتازون ، ورؤساء الكهنة ، والكتبة بل على العكس فإن الحواريين حينما قبض على المسيح تركوا المكان وهربوا . يراجع (متى ٥٦/٢٦) (مرقس ٥٧/١٤) ، لم يرد فى لوقا، ومن كانوا يعرفونه ، فنسوه ، وكن ينظرن من بعيد : هن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب، ويوسى (متى ٥٥/٢٧ ، ٥٦) ، (مرقس ٤٠/١٥) ، (لوقا ٤٩/٢٣) =

– وينفرد يوحنا بقول : وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه ، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية والتلميذ الذى كان يحبه المسيح » ... (يوحنا ٢٥/١٩ – ٢٧)

– ولكن عند الصلب وموت المسيح لم يذكر اسم أحد ، بل ذكر عبارة بإبهام الذين شاهدوا الصلب والموت فقال : « والذى عاين شهد ، شهادته حق ، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم »

(فلم يعين النص أحداً ممن شهد (يوحنا ٣٥/١٩)

(٣) وبطرس قد تبع المسيح من بعيد إلى بيت رئيس الكهنة ، فتعرفت عليه جارية من جوارى رئيس الكهنة فأنكر صلته بالمسيح ، فلما تعرفت عليه للمرة الثانية ، أو تعرفت عليه جارية ووشت به أنكر ثم خرج هاربا من الدار ، ولم يرد له ذكر بعد ذلك .

(متى ٦٩/٢٦ – ٧٥) ، (مرقس ١٤ / ٦٦-٧٢) ، (٥٤/٢٢ – ٦٢) ، (يوحنا ٢٥/١٨ – ٢٧).

(٤) لم يذكر متى شيئا عن ذلك الشاب ، وكذلك لوقا لم يورد عنه شيئاً .

– وفى مرقس : « وتبعه شاب لابس إزارا على عربة فأمسكه الشبان » فترك الإزار وهرب منهم عريانا » (مرقس ٥١/١٤، ٥٢)

يعرف المسيح ولا هو من أتباعه ، وخادع الشرط حتى نجا برأسه ، فمن نازعنا فى نقلنا هذا حاكمناه إلى كتابه الذى بيده [1].

وإذا كان أعداؤه الكفار واليهود الذين لا تقبل روايتهم لم يحضر منهم سوى آحاد ، وأصحابه العدول لم يحضر منهم القتل إلا رجل ، فأين عدد التواتر المفيد فى الإثبات .

* قال المؤلف : فليحفظ هذه الحجة ، فإنها فى حجاجهم من أوضح محجة .

الحجة الثانية: على أن المصلوب ليس هو المسيح بل غيره ، قال يوحنا التلميذ : إن المصلوب نظر من فوق جذعه فلم يجد سوى ثلاث نسوة إحداهن أم المسيح ، وتلميذ من تلاميذ المسيح ، فنادى المرأة : يامرأة هذا ابنك ، وأشار إلى التلميذ وقال له : هذه أمك [2] .

* قال المؤلف : قول المصلوب لأم المسيح قول ينبىء بفحواه أنه ليس المسيح بل الشبيه الذى وقى الله به المسيح ، وذلك ظاهر ، وإنما حضرت مريم - إن كان النقل صحيحا - لأن الشبه كان صديقا وقا [3] الله به ولدها فأعلمها بذلك - لأنها عند بعض أصحابنا نبية من الأنبياء .

الحجة الثالثة : على أن المصلوب ليس هو المسيح بل غيره ، لاشك أن نبى الله المسيح نشأ بين اليهود ، يعرفونه من حين ولادته إلى أن ابتدأ الدعوة وعمل الآيات ، وهو فى كل وقت معهم ، يباحث الأحبار ، ويفحم

- وفى يوحنا : « وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر ، وكان ذلك التليمذ معروفا عند رئيس الكهنة ، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة * ... » (يوحنا ١٨/١٥-١٧)

* ولم يرد ذكر لهذا التلميذ بعد هذا الموقف .

(١) تراجع المصادر فى ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) أنفرد يوحنا بذكر هذا الخبر ، والنص هنا مختصر مع بعض الاختلاف : يراجع (يوحنا ١٩/٢٥-٢٧)

(٣) فى المخطوطة : «وقاه الله ولدها » .

السائل في نوازل المسائل ، فإذا بهرهم بالحجج قالوا : أليس هذا هو ابن يوسف ؟ أليس هذا أمه وأخوته عندنا ، فمن أين له هذه الحكمة (١) .

وإذا كان ذلك كذلك فما حاجتهم إلى أن استأجروا واحداً من تلاميذ ه الإثنى عشر (٢) حتى دلهم عليه ، وعرفهم بصورته لولا وقوع الشبه الذى نقول به .

الحجة الرابعة: أن رئيس الكهنة حين أحضر الشبه إليه أقسم بالله عليه أأنت المسيح ، فقال : أنت قلت إنى أنا الميسح (٣) .

لم يقل إنى أنا المسيح ، فلو كان هو المسيح (٤) لم يور فى الجواب ، ولم يجمجم (٥) فى الخطاب ، ولأوضح أمره ، لأنه إنما بعث لبث الحق ونشر الصدق ،

وكيف يتجشم الأمر ثم يكتمه ؟

---

(١) فى لوقا : «وكان الجميع يشهدون له ، ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه ويقولون : أليس هذا ابن يوسف » (لوقا ٤/٢٢)

- وفى يوحنا : « فكان اليهود يتذمرون عليه لأنه قال : أنا هو الخبز الذى نزل من السماء .

* وقالوا : أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه ، فكيف يقول هذا إنى نزلت من السماء » (يوحنا ٦/٤١ ، ٤٢)

(٢) تلاميذه الإثنى عشر هم الحواريون ، والشيخ يتحدث عن اليهود الذين استأجروا واحدا من الإثني عشر وهو يهوذا الإسخريوطى .

(متى ٢٦/٤٦-٥٠) ، (مرقس ١٤/٤٣-٤٦) ، لوقا (٢٢/٤٧ ، ٤٨) ، (يوحنا ١٣/٢، ١٨/-١٢)

(٣) فى متى : « فـأجاب رئيس الكهنة وقال : أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا ، هل أنت المسيح ابن الله * قال له يسوع : « أنت قلت » (متى ٢٦/٦٢-٦٤) - وفى مرقس : أما هو (أى المسيح) فكان ساكتا ولم يجب ، فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له : أنت المسيح ابن الله ، فقال يسوع : أنا هو » (مرقس ١٤/٦١/٦٢)

- وفى لوقا : إن مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة معا سألوه : (لوقا ٢٢/٦٦-٧١)

- وأما يوحنا فلم يورد هذا السؤال ، وإنما سأله رئيس الكهنة عن تلاميذه وتعاليمه » (يوحنا ١٨/١٩ ، ٢٠)

(٤) وعبارة « لم يقل : أنا المسيح ، فلو كان قال المسيح » يبدو أنها سقطت فى النسخ فكتبها الناسخ في الهامش الأيمن أما السطر الثانى من أول ص ٣٥ وأشار إليها بسهم قبل عبارة (لم يورِّ)

(٥) يجمجم « الجمجمة : أن لا يبين فى كلامه ، كالتجمجم ، وإخفاء الشئ فى الصدر والهلاك (يراجع : مادة جم - ترتيب القاموس المحيط) .

فإن قيل : هذا أيضا يدل لنا [1] لأنه غير المسيح لم يخف ذلك، ولبينه، ولقال : لست المسيح قلنا : قولكم [2] هذا يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون الشبه قد اعترته دهشة منعته من الإبانة والإفصاح عن حالة كما قد يجرى للبشر عند تحقيق الضرر ، فلا يبعد أن يأخذ الله لسانه ويمنعه من الإفصاح عن شأنه .

والوجه الثانى : أن يكون الشبه لصديق آثر [3] المسيح بنفسه بعهد عهده إليه ، وقد قال الإنجيل إن التلاميذ كانوا يقولون للمسيح : لو دفعنا إلى الموت معك لمتنا [4] ، والشبه فى أحد أقوال العلماء من خيارهم ، وذلك شىء ولم يزل أصحاب الأنبياء تفعله فينالون بذلك الثناء فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى .

الحجة الخامسة: على وقوع الشبه وحصول الشبه : قال لوقا : صعد يسوع إلى جبل الجليل ، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ، فبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجهه ، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، وإذا موسى

---

(١) النص هنا « يدل لنا ، لأنه غير المسيح » وفى المخطوطة « يدل لنا ، قلنا لأنه غير المسيح بزيادة « قلنا » وهو خطأ يخل سياق الكلام ويفسد المعنى .

(٢) عبارة « قولكم هذا » ناقصة فى نسخة الكويتية ، ومثبتة فى نسخة دار الكتب المصرية .

(٣) الصديق : فى المخطوطة (لصديقته) وهذا خطأ .

(٤) أثر المسيح بنفسه : أى - آثر أن يفدى المسيح بنفسه .

- النص فى متى : على لسان بطرس : « ولو اضطررت أن أموت معك لا معك لا أنكرك »
(متى ٣٥/٢٦)

- والنص فى لوقا : بنفس المعنى مع اختلاف فى الألفاظ وبعض التفاصيل قال لوقا : « أخذ (أى المسيح) بطرس ويوحنا ويعقوب وصعد إلى جبل ليصلى * وفيماهو يصلى . صارت هيئة وجهه متغيرة ، ولباسه مبيضا لامعا ، وإذا رجلان يتكلمان معه وهما : موسى معه وهما : موسى وإيلياء ، اللذان ظهرا بمجد ، وتكلما عن خروجه الذي كان عتيدا أن يكلمه فى أورشليم * وأما بطرس والذين معه كانوا قد تثقلوا بالنوم ، فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه * وفيماهما يفارقانه قال بطرس ليسوع : يا معلم جيد أن تكون ههنا فلتصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة ، وهو لا يعلم ما يقول * وفيما يلى ذلك كانت سحابة تظلهم فخافوا عندما دخلوا فى السحابة (لوقا ٢٨/٩-٣٤)

وإليا قد ظهرا له ، وجاءت سحابة فأظلتهم ، ووقع النوم على الذين كانوا معه فناموا [1] .

* قال المؤلف : هذا دليل ظاهر على وقوع الشبه ، لأن تغيير صورة وجهه عما كان عليه حتى تعدى ذلك إلى ثيابه ، ثم نزول موسى وإليا الذى هو إدريس عليهما السلام ، وستر القوم بالسحابة، والنوم فى تلك الساعة ، دليل على وقوع الشبه ورفع المسيح ، ولا معنى لنزول هذين النبيين الكريمين ، ووقوع النوم على القوم إلا رفع المسيح إلى السماء ، وصونه عن كيد الأعداء .

* ومما يؤيد ما قلناه ، قول الإنجيل : أن اليهود لما رفعوا المصلوب على الخشبة قالوا : دعوه حتى نرى إن كان إليا يأتى ويخلصه [2] وهم يظنون أنه المسيح ، وقد كان المسيح يقول لأصحابه : إنَّ إليا سيأتى :

---

(١) النص فى متى : وكان المجتازون عليه ... قائلين ... إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب ⁄
* وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً يستهزءون مع الكتبة والشيوخ قالوا : خلص آخرين، وأما بنفسه فما يقدر أن يخلصها ، إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به * ... * (متى ٢٧/٣٩-٤٢) .
- ومن نفس الإصحاح : « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم وقال ك إيلى إيلى .
- لماذا شبقتنى ، أى إلهى إلهى لماذا تركتنى * فتقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادى إيليا * وللوقت ركض واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه * وأما الباقون فقالوا أترك لنرى هل يأتى إيليا يخلصه » (المصدر السابق ٤٥-٤٩) .
- وفي مرقس نفس النصوص تقريبا : مع بعض الخلاف مثل إن الذى سقاه هو الذي قال : « اتركوه لنر هل يأتى إيليا لينزله » (مرقس ١٥/٢٩-٣٦)
- وفى لوقا : « وكان الشعب واقفين ينظرون ، والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين خلص آخرين ، فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله * والجند أيضا استهزؤا به وهم يأتون ويقدمون له خلا * قائلين إن كنت أنت ملك اليهود خلص نفسك *...* (لوقا ٢٢٣/٣٥-٣٩)
- وأما يوحنا لم يرد شيئا عن هذا الخبر ، وأورد قصة أخرى انفرد بها عن هذا المشهد الأخير لحياة شبيه الميسح فى هذه الواقعة . يراجع (يوحنا / الإصحاح ١٩ كله) .

(٢) قال المؤلف : قال يوحنا فى الإصحاح الثانى والخمسين والمائة) ربما يثير شيئا من التعجب ولكننا نقول : ربما كانت النسخة التى اطلع عليها الشيخ صالح بن الحسين ونقل عنها كان به هذا العدد من الاصحاحات .

الحجة السادسة : وهى قوية جدا فى بيان حماية عبده المسيح : قال يوحنا التلميذ فى الإصحاح الثانى والخمسين والمائة [1] : إن المسيح قال لتلاميذه : إنكم ستفترقون ، كل واحد إلى موضعه وتتركونى وحدى ، ولست وحدى لأن الآب هو معى ، ولكن ثقوا فأنا غلبت العالم [2] .

* قال المؤلف : فتدبروا رحمكم الله هذا القول من المسيح تعلموا أن الله تعالى قد حماه وصانه ووقاه ، فإذا قال المسيح وهو صادق : إنه قد غلب العالم ، وأعطى السلطان على كل جسم من أجساد بنى آدم . فلا التفات بعد ذلك إلى من يزعم أن بعض العالم وهم أخسأ اليهود ، وإخوان القرود قد أعطوا السلطان على جسده وغلبوه ثم قتلوه وصلبوه ، فلتحتفظ بهذه الحجة فإنها فى هذا المبحث من أوضح محجة .

الحجة السابعة : على أن المصلوب ليس المسيح بل غيره ، قال الإنجيل : إن المصلوب شكا العطش وهو على الصليب واستسقاهم [3] ماءا ، والإنجيل يقول : إن المسيح واصل أربعين يوما وأربعين ليلة صابراً عن الطعام [4] والشراب وقال لتلاميذه : إن لى طعاما لم يعرفوه .

– واما إنجيل يوحنا فى الحال يتكون من واحد وعشرين إصحاحا ، ورؤياه تتكون من اثنين وعشرين إصحاحا .

(١) والنص الذى استشهد به الشيخ ينفرد به يوحنا ، فلم يرد فى غير أنجيله .

– وفيه أن المسيخ قال التلاميذ : « هوذا تأتى ساعة ، وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل إلى خاصته وتتركونى وحدى وأنا لست وحدى ، لأن الآب معى * قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فى سلام ، فى العالم سيكون لكم ضيق ، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » . (يوحنا ١٦/٣٢ – ٣٣)

(٢) كلام الشيخ صالح عن المسيح بصيغة الخبر حيث يقول : « أعطانى الله سلطانا على كل ذي جسد »

– فى حين أن النص فى يوحنا بصيغة مناجاة المسيح لله يقول : « أيها الآب ، قد أتت الساعة ، مجد ابنك ليمجدك أبنك أيضا * إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ، ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته » . (يوحنا ١٧/١ ، ٢)

– وهذه الحجة من أدق الحجج التى أوردها الشيخ صالح بن الحسين يرحمه الله تعالى .

(٣) متى لم يذكر أن المسيح عطش وطلب أن يشرب ، بل إن الواقفين عند الصليب حين سمعوا المسيح يقول : إيلى إيلى لماذا شبقتنى قالوا : إنه ينادى إيليا ، « وللوقت ركض واحد منهم وأخذ منهم وأخذ سفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه » (متى ٢٧/٤٧ ، ٤٨)

ومن صبر على الماء ثمانين بين يوم وليلة كيف يجزع على فراقه ساعة واحدة وعهده بالماء قريب ؟ فبذلك نعلم أن العطشان غيره ، والمستسقى سواه .

الحجة الثامنة : الإنجيل يشهد أن المصلوب قال وهو على الصليب : إلهى إلهى : لم تركتنى(١) ؟

وكيف خذلتنى ؟ وكلمة « لم » كما تعلمون تنافى الرضا تم القضاء ، وتناقض التسليم لأحكام الحكيم ، ويجل عن ذلك رتبة المتقين فضلا عن أكابر المسلمين ، وقد احتضر جماعة من أولياء الله وهم فرحون بربهم ، مسرورون بانقلابهم إلى سربهم .

فقوله إلهى إلهى لم تركتنى وكيف خذلتنى هو كلام الشبه الذى ضعف البشر غالب عليه ، وخور العبودية مشيرا إليه .

- ونص هذه الرواية تقريبا فى مرقس . (مرقس ١٥/٣٥ ، ٣٦)
ولم يذكر لوقا شيئا عن هذا المشهد ؛ وذكر حديثا آخر .
- وانفرد يوحنا بذكر أن المسيح قد أخبر بأنه عطشان ، وأنهم سقوه خلا .
- يقول يوحنا « بعد هذا رأى يسوع أن كل شئ قد كمل ، فلكى يتم الكتاب قال : أنا عطشان وكان إناء موضوعا مملوًا خلا ، فملأوا إسفنجة من الخل ، ووضعوها على زوفا ، وقدموها إلى فمه » فلما أخذ يسوع الخل قال : أكمل، ونكس رأسه وأسلم الروح » (يوحنا ١٩/٢٨-٣٠)
(٤) فى متى : « فبعد ما صام أربعين ليلة جاع أخيراً » (متى ٤/٢)
- ومرقس ذكر أن المسيح أخرجه الروح إلى البرية ، وكان في البرية أربعين يوما ، ولم يذكر أنه صام. (مرقس ١/١٢ ، ١٣)
- وفى لوقا : « وكان يقتاد بالروح فى البرية أربعين يوما يجرب من أبليس ، ولم يأكل شيئاً فى تلك الأيام ، ولما تمت جاع أخيراً » (لوقا ٤/١ ،٢)
- ولم يذكر يوحنا شيئاً عن هذا الحديث ، بل انفرد بذكر أحداث ومبادئ وأفكار آخرى .
يراجع (يوحنا / الإصحاح الأول كله)
(١) فى متى : « نحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى ولما شبقتنى ، أى إلهى إلهى لما تركتنى » وليس فيه لماذا خذلتنى .
(متى ٢٧/٤٥، ٤٦)
- وفى مرقس : « ... ألوى لما شبقتنى (مرقص ١٥/٣٤)
- وفى لوقا « ونادى يسوع بصوت عظيم : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى . (لوقا ٢٣/٤٦)

الحجة التاسعة : قال لوقا : قال جبريل عليه السلام لمريم بالناصرة : يا مريم قد ظفرتى بنعمة من الله ، وأنت تلدين ولدا يدعى يسوع المسيح ، يكون عظيما ، يعطيه الرب كرسى أبيه داود ، ويملكه على بنى يعقوب (١) .

* قال المؤلف : هذا الكلام من جبريل ورد مورد الامتنان من الله والإنعام ، وهو أن يجلس ولدها على كرسى داود .

ويملك رقاب اليهود ، فالقول بأن المسيح هلك وما ملك يقضى بالسخرية من البتول ، والبداء من المرسل والكذب من الرسول ، والكل محال.

فالقول بقتل المسيح وصلبه محال ، فهذه تسع حجج توضح لمن تأملها غلط القوم فى قتل المسيح وصلبه ، وتصحح أن المصلوب من به شبه .

- وأما يوحنا فهو كالعادة فى كثير من الأحداث يختلف عن السابقين ، فلم يذكر شيئا عن صراخ أو نداء المسيح على الصليب حسب عقيدتهم . (يوحنا ١٩/٢٨-٣٠)

* وليس فى أى وقت روايات الأناجيل عبارة « كيف خذلتنى ، وربما كانت هذه العبارة فى ترجمة سابقة نقل عنها الشيخ أبو البقاء .

(١) لم يرد فى رواية متى ذكر أن المسيح يعطى كرسى داود ، ويملك على بنى يعقوب .
(يراجع متى ١/١٨-٢٤)

- لم يذكر مرقس شيئا عن ميلاد المسيح ، وبالتالى لم يذكر عن بشارة الملائكة لمريم بحملها بالمسيح ، ولا عن إعطائه كرسى داود . يراجع (مرقس / الإصحاح الأول كله)

- أما فى لوقا فالخبر كالآتى : « وفى الشهر السادس - (أى من حمل الياصبات بابنها يحيى بن زكريا عليهما السلام) أرسل جبريل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل إسمها: ناصرة * إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود إسمه يوسف ، واسم العذراء مريم * فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك مباركة أنت فى النساء * فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية * فقال لها الملاك لا تخافى يا مريم لأنك وقد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع * هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه * ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية . (لوقا إصحاح ١/٢٦-٣٣) .

خاتمـــــة

بسم الله ، والصلاة والسلام على خاتم أنبياء ورسل الله .

وبعد ،،،

فأرى أنه لم يعد هناك ضرورة إلى افتعال كتابة خاتمة تتضمن نتائج أو تعقيبات على غرار ما تعود بعض الباحثين .

فما أورده الشيخ صالح بن الحسين ، وما قدمت له وما عقبت به في الهوامش واضح الدلالة ، واف بالغرض فيما أحسب ، وعسى أن يكون حسباني هذا صوابا ، وأن أكون قد حققت الغاية المرجوة .

تحقيق

د / صديق عبد العظيم أبو الحسن

قسم العقيدة والدعوة - كلية الشريعة

جامعة الكويت